

حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ

جمعٌ وترتيبٌ

مِنْ خُطَبٍ وَمُحَاضَرَاتٍ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَلْمَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

حَدَدَ الشَّرْعِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْبَشَرِ:

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْيَا وَحْدَهُ، الْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ بِفِطْرَةٍ مَغْرُوزَةٍ فِيهِ، هِيَ أَنَّهُ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْيَا وَحْدَهُ، لَا أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنْ إِخْوَانِهِ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ، الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الشَّرْعَ الْأَعْرَاقَ قَدْ حَدَدَ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ، وَحَدَدَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمُجْتَمَعِهِ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْإِنْسَانُ دِينَ رَبِّهِ، فَإِنَّهُ حِينئِذٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُؤَدِّيَ عَلَيْهِ حَقَّهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ وَاجِبَهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ جَاهِلًا مُتَخَبِّطًا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ (مَظْلُومِيَّةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ) الْجُمُعَةَ ١٦ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

حُقُوقُ ذَوِي الْأَرْحَامِ:

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْحُقُوقِ الَّتِي عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ حُقُوقُ ذَوِي الْأَرْحَامِ:

أَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ:

وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ﴾

[الأنفال: ٧٥]

(وذووا الأرحام من المؤمنين لهم الأولوية في الموالاة بحق الإسلام وحق الرحيم، وأحكام الموالاة العامة بين المؤمنين لا تتعارض مع أولوية الموالاة بين أولي الأرحام من المؤمنين، فأصحاب القرابات بعضهم أولى ببعض في كتاب الله). (*).

حَقُّ الصَّلَاةِ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﷻ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﷻ﴾ [النساء: ١].

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ (مُخْتَصِرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ الْأَنْفَالِ الْأَحَدِ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ

١٤٣٦ هـ المُوافق ٥ / ٧ / ٢٠١٥ م

حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! احذَرُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ أَنْ تُخَالِفُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ،
الَّذِي خَلَقَ السُّلَالََةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا مُشْتَقَّةً مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ
عليه السلام، وَخَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَاءَ، وَنَشَرَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ وَحَوَاءَ بِالتَّلَازُمِ رِجَالًا كَثِيرًا
وَنِسَاءً كَثِيرَاتٍ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي يَسْأَلُهُ بِهِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا فَلَا
تَصِلُوهَا). (*).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

فَمِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الْكَامِلَةِ: أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مُنْقَطِعًا أَمَرَ اللَّهِ بِأَنْ
يُوصَلَ إِلَّا وَصَلُوهُ؛ كَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ، وَصِلَةِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَكُلِّ ذِي
رُوحٍ. (*). (٢/).

حَدَرْنَا رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ:

وَيَبِينُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ بَيَّنَّ فِيمَا أَوْحَى إِلَيَّ نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ الَّذِينَ
يَقْطَعُونَ أَرْحَامَهُمْ وَيَهْجُرُونَ إِخْوَانَهُمْ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَبِيحُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

(*). مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مُخْتَصِرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةَ النَّسَاءِ الْخَمِيسِ ٨ مِنْ رَمَضَانَ

١٤٣٦ هـ الْمُوَافِقَ ٢٥ / ٦ / ٢٠١٥ م

(*). (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مُخْتَصِرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةَ الرَّعْدِ الثَّلَاثَاءِ ٢٢ مِنْ ذِي

الْحِجَّةِ ١٤٣٦ هـ الْمُوَافِقَ ٦ / ١٠ / ٢٠١٥ م الْأَرْبَعَاءِ ٢٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٦ هـ

الْمُوَافِقَ ٧ / ١٠ / ٢٠١٥ م

رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، هُوَ لَاءِ لَعْنَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَصَمَّهُمْ، وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ. (*)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٢-٢٣].

فَلَعَلَّكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَأَدْبِرْتُمْ أَيَّهَا الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ إِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ الْأَمْرِ وَأَصْحَابِ الْقُوَّةِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِخَرَابِ الْعُمَرَانَ الْحَضَارِيِّ فِي الْمُدُنِ وَالْقُرَى، وَإِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ، وَالْبَغْيِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَإِفْسَادِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَسُلُوكِهِمْ، وَإِفْسَادِ أَفْكَارِهِمْ وَمَنْفَهُوَمَا تِهِمْ، وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ لِتَحْقِيقِ أَعْرَاضِكُمُ الشَّخْصِيَّةِ وَمَصَالِحِكُمُ الدُّنْيَوِيَّةِ). (*) (٢).

وَنَبِيَّنَا ﷺ أَمَرَنَا بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ:

حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تَعَلُّمِ الْأَنْسَابِ لِصِلَةِ الْأَرْحَامِ:

وَلَقَدْ وَجَّهَ الرَّسُولُ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى ضَرُورَةِ تَعَلُّمِ النَّسَبِ الَّذِي يُعْرِفُ بِهِ الرَّحِمَ حَتَّى يُوصَلَ وَلَا يَقْطَعَ:

أَخْبَرَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ) الْجُمُعَةِ ٦/٧/٢٠٠٢م

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مُخْتَصِرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةَ مُحَمَّدٍ الثَّلَاثَاءِ ١٢ مِنْ صَفَرِ

أَخِيهِ الشَّيْءُ، وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ، لَأَوْزَعَهُ ذَلِكَ عَنْ
 انْتِهَاكِهِ»^(١). وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنُ الْإِسْنَادِ، وَصَحَّ مَرْفُوعًا. أَخْرَجَهُ
 الطَّيَالِسِيُّ وَالْحَاكِمُ، وَقَدْ جَمَعَ ذَلِكَ بِطَرَقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»، مِنْ حَدِيثِ
 ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢)

«تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ»: مِنْ جِهَةِ الْأَبِ وَالْأُمِّ وَالْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالصَّهْرِيَّةِ،
 وَتَعَرَّفُوا أَسْمَاءَ أَقَارِبِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، وَذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْكُمْ
 وَالْأَقَارِبَ، وَكَمْ مِنْ رَحِمٍ مَقْطُوعَةٍ بِسَبَبِ الْجَهَالَةِ! وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ يُعْتَدِي عَلَيْهِ لَا
 يَحْسَبُ الْمَرْءَ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ رَحِمًا! وَمَا وَقَعَ مِنْهُ هَذَا الْإِعْتِدَاءُ، وَمَا صَارَ فِيهِ فِي
 غَلَوَائِهِ إِلَّا بِسَبَبِ الْجَهْلِ بِالرَّحِمِ الَّتِي عِنْدَهُ.

فَيَقُولُ لَنَا نَبِيًّا وَيَأْتِي مِنْ كَلَامِ عُمَرَ وَكَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ صَحَّ مَرْفُوعًا عَنِ
 النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «احْفَظُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ».

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ»: (ص ٣٩، رَقْم ٧٢)، وَابْنُ وَهْبٍ فِي «الْجَامِعِ»:
 (ص ٤٦، رَقْم ١٥)، وَالْحُسَيْنُ بْنُ حَرْبٍ الْمَرْوَزِيُّ فِي «الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ»: (ص ٦٢، رَقْم
 ١١٩)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ»: (٤/٢٤٩، رَقْم ٣٢٠٢)، مِنْ طَرِيقِ: جُبَيْرِ بْنِ
 مُطْعِمٍ، ... بِمِثْلِهِ.

وَالْأَثَرُ حَسَنُ إِسْنَادِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ»: (ص ٥٥، رَقْم ٥٣).
 (٢) حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ»: (ص ٣٩، رَقْم ٧٣)،
 وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ»: (٤/٤٧٣، رَقْم ٢٨٨٠)، وَالْحَاكِمُ: (١/٨٩، رَقْم ٣٠١) وَ
 (٤/١٦١، رَقْم ٧٢٨٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكَبِيرِ»: (١٠/١٥٧، رَقْم ٢٠٥٨٢)،
 وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: (١٠/٣٢٦-٣٢٧).

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (١/٥٦٠-٥٦١، رَقْم ٢٧٧).

لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَحْفَظْ نَسَبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ وَاصِلًا لِرَحِمِهِ،
وَالنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ -.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَنْسَابَ لَيْسَتْ عِنْدَ أُمَّةٍ سِوَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَالْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ هِيَ
الَّتِي تَحْفَظُ أَنْسَابَهَا، وَيُمْكِنُ لِلْعَرَبِيِّ - إِنْ كَانَ وَاعِيًا مُتَّبِعًا - أَنْ يَرْجِعَ بِنَسَبِهِ إِلَى
أَسْلَافِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْعَرَبِ فَأَنْسَابُهُمْ مَقْطُوعَةٌ وَمُخْتَلِطَةٌ، وَلَا يَحِطُّ هَذَا
مِنْ قَدْرِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ فَضَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ.

النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَصَحَّ مَرْفُوعًا أَيْضًا -
يَأْمُرُنَا بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ: «احْفَظُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ».
فَإِذَنْ؟ «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ».

تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لِيَكُونَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ
الشَّيْءُ، وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ - أَي: مِنْ عِلَاقَةِ الْقَرَابَةِ -،
لَأَوْزَعَهُ ذَلِكَ - أَي: لَكَفَّهُ وَمَنَعَهُ ذَلِكَ الْعِلْمُ بِدَاخِلَةِ الرَّحِمِ - عَنِ انْتِهَاكِهِ - أَي:
عَنْ نَقْضِهِ عَهْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ الْعَرَبُ الْمُتَقَدِّمُونَ: فَعَطَفْتُهُ عَلَيْهِ الرَّحِمُ
فِي هَذَا الْحَدِيثِ:

الْحَثُّ عَلَى مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَقَارِبِ؛ لِتَسْهِيلِ سُبُلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَقَارِبَهُ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّيًا حَقَّ الرَّحِمِ،
بَيَانٌ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْقَرَابَةِ تَمْنَعُ مِنَ الْقَطِيعَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ السَّيِّئَةِ، كَمَا فِي كَلَامِ
عُمَرَ «وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ، لَأَوْزَعَهُ ذَلِكَ عَنِ انْتِهَاكِهِ»
فَمَعْرِفَةُ الْأَنْسَابِ مَدْعَاةٌ لِصَلَةِ الْأَرْحَامِ.

فَالرَّحِمُ عِلَاقَةٌ جَذِبَ تَقَرُّبُ الْعِلَاقَةِ الْبَعِيدَةَ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْقَرِيبُ يَكُونُ بَعِيدًا - إِذَا لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ - وَالْبَعِيدُ تَقَرُّبُهُ الرَّحِمُ وَلَوْ كَانَ بَعِيدًا.

وَالرَّحِمُ تَنْطِقُ وَتَشْهَدُ لِلْوَاوِصِلِ، وَتَشْهَدُ وَتَنْطِقُ بِالْقَطِيعَةِ عَلَى الْقَاطِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهَذَا عَلَى ظَاهِرِهِ - وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَكَمَا خَلَقَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُنْطِقُهَا، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَلَّمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَلَّمَتَاهُ، وَيُخْبِرُنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: أَنَّهُ يَخْتِمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، وَتَنْطِقُ الْجُلُودُ وَالْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ، فَهِيَ تَنْطِقُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ وَهِيَ مِنْ غَيْرِ لِسَانٍ.

بَلْ إِنَّ الْأَرْضَ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَنْطِقُ الْأَرْضُ مِنْ غَيْرِ لِسَانٍ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَتَأْتِي الرَّحِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ صَاحِبِهَا - إِنْ كَانَ وَاصِلًا - تَشْهَدُ لَهُ بِالصَّلَاةِ، وَإِنْ كَانَ قَاطِعًا تَشْهَدُ لَهُ بِالْقَطِيعَةِ. (*)

وَالرَّحِمُ: الْمُرَادُ بِهَا مَنْ يَمُتُ إِلَيْهِمْ بِصَلَاةٍ مِنْ جِهَةِ الْأَبْوَةِ أَوْ الْأُمُومَةِ؛ فَكُلُّ قَرِيبٍ لِلشَّخْصِ يُعْتَبَرُ رَحِمًا لَهُ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ أَوْ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ

أَرْحَامِكُمْ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ: ص ٤٥٤ و ٤٥٦ و ص ٤٦١-٤٦٢

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: وَجُوبِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - الْجُزْءُ

الْأَوَّلُ: ص ٣٦٩

فَضْلُ صِلَةِ الرَّحِمِ:

صِلَةُ الرَّحِمِ تَقْرُبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَتُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ:

وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ تَقْرُبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَتُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ:

فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ، فَقَالَ:
أَخْبِرْنِي مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ
الرَّحِمَ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

«تَصِلُ الرَّحِمَ»؛ أَي: تُحَسِّنُ إِلَى أَقَارِبِكَ، وَتُوَاسِي ذَوِي الْقَرَابَةِ فِي الْخَيْرَاتِ
وَالرَّحِمُ الَّتِي تُوصَلُ:

عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ

عَامَّةٌ: وَهِيَ رَحِمُ الدِّينِ وَتَجِبُ مُوَاصَلَتُهَا بِالتَّوَادُدِ، وَالتَّنَاصُحِ، وَالْعَدْلِ،
وَالْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٣١، رقم ٤٩)، وفي «الصحيح»: (٣/ ٢٦١،

رقم ١٣٩٦) و(١٠/ ٤١٤، رقم ٥٩٨٢)، ومسلم: (١/ ٤٢-٤٣، رقم ١٣).

خَاصَّةً: فَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ فِي تَعْرِيفِ الرَّحِمِ، وَتَزِيدُ النَّفَقَةَ عَلَى الْقَرِيبِ، مَعَ تَفَقُّدِ
أَحْوَالِهِ.

وَالْمَعْنَى الْجَامِعُ فِي «صِلَةِ الرَّحِمِ» هُوَ: أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ إِيْصَالُ مَا أَمْكَنَ مِنْ
الْخَيْرِ، وَدَفْعُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الشَّرِّ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ
وَمِمَّا يُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ: أَهْمِيَّةُ صِلَةِ الرَّحِمِ. (*)

مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:
وَأَخْبَرَنَا نَبِينَا ﷺ أَنَّ مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ قَطَعَهَا
قَطَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ، فَلَمَّا
فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا
تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ
لَكَ» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] (٢)

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ: أَيُّ قَضَاهُ وَأَتَمَّهُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: صِلَةِ الرَّحِمِ، الْجُزْءِ الْأَوَّلِ:

ص ٣٧٣ و ص ٣٧٦ و ص ٣٧٧

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (٨ / ٥٧٩ - ٥٨٠، رَقْمُ ٤٨٣٠)، وَمُسْلِمٌ: (٤ / ١٩٨٠، رَقْمُ

مَهْ: اسْمٌ فِعْلٌ مَعْنَاهُ الزَّجْرُ أَي: مَاذَا؟ لِلاِسْتِفْهَامِ فَأَبْدَلَ الْأَلِفَ هَاءً

مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ: مَقَامُ الْمُعْتَصِمِ وَالْمُسْتَجِيرِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ

أَلَا تَرْضَيْنَ: فِيهِ تَكْلِيمُ اللَّهِ تَعَالَى الرَّحِمِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَبَيَانُ فَضْلِ صَلَةِ الرَّحِمِ، كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَمَا يَنْطِقُ الْجُلُودُ وَغَيْرَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَكَلَّمَ اللَّهُ الرَّحِمَ (أَلَا تَرْضَيْنَ)

وَمِمَّا يُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ:

التَّكْيِيدُ عَلَى حُرْمَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا

صِلَةُ الرَّحِمِ سَبَبُ رَحْمَةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَقَطِيعَتُهَا سَبَبُ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ. (*)

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله يَقُولُ:

«قَالَ اللَّهُ عز وجل: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّهْتُ» (٢). وَالْحَدِيثُ «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ».

قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، «وَاشْتَقَقْتُ»: أَي أَخْرَجْتُ وَأَخَذْتُ اسْمَهَا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابُ: صِلَةِ الرَّحِمِ - الْجُزْءِ الْأَوَّلِ

ص ٣٧٨ و ص ٣٧٩ و ص ٣٨٠

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»: (ص ٣٣، رَقْم ٥٣)، وَأَبُو دَاوُدَ: (٢/ ١٣٣، رَقْم ١٦٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ: (٤/ ٣١٥-٣١٦، رَقْم ١٩٠٧).

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»: (ص ٤٩، رَقْم ٣٨)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ»: (٢/ ٤٩-٥٢، رَقْم ٥٢٠).

مِنْ أَسْمِي: الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ،

فَمَنْ وَصَلَهَا: رَاعَى حُقُوقَهَا، وَصَلُّهُ: رَاعَيْتُ حُقُوقَهُ وَوَفَّيْتُ ثَوَابَهُ،

وَمَنْ قَطَعَهَا: وَمَنْ قَطَعَ الرَّحِمَ قَطَعْتَهُ: مِنْ رَحْمَتِي الْخَاصَّةِ.

وَمَنْ قَطَعَهَا بَتُّهُ: وَابْتُ الْقَطْعُ، فَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَصَلَهَا

وَصَلَهُ اللَّهُ ﷻ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ تَعْظِيمُ شَأْنِ الرَّحِمِ، وَبَيَانُ فَضِيلَةِ وَصْلِهَا وَعِظَمِ الْإِثْمِ

بِقَطْعِهَا

الرَّحِمُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ التَّعَلُّقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ

وَصِفَاتِهِ. (*)

صِلَّةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَالرِّزْقِ:

وَصِلَّةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْأَجْلِ وَالرِّزْقِ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي

رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٢)، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَي: أَنْ يُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابُ: فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ:

ص ٣٨٩ و ص ٣٩١

(٢) أخرجه البخاري: (١٠ / ٤١٥، رقم ٥٩٨٦)، ومسلم: (٤ / ١٩٨٢، رقم ٢٥٥٧).

وَيُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ أَيُّ: يُؤَخَّرُ لَهُ فِي أَجَلِهِ وَعُمُرِهِ؛ يَعْنِي بِهِ: الزِّيَادَةَ فِي الْعُمُرِ.

والأثر: بقية العمر وسمي أثراً لأنه يتبع العمر

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ^(١): فَالْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ، أَيُّ: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِحِكْمَتِهِ صَلَاةَ الرَّحِمِ سَبَبًا شَرْعِيًّا لِطُولِ الْعُمُرِ وَكَذَلِكَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ كَمَا فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْعُمَرَ مَقْطُوعٌ بِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا بِالنَّظَرِ لِلْخَاتِمَةِ، تَمَامًا كَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، فَهُمَا مَقْطُوعَتَانِ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَفْرَادِ فَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَمِنَ الْمَقْطُوعِ بِهِ أَنَّ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ مُنْوَطَتَانِ بِالْأَسْبَابِ شَرْعًا كَمَا قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُسِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَسِرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَسِرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»^(٢).

(١) هامش «صحيح الأدب المفرد»: (ص ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري: (١١ / ٤٩٤، رقم ٦٦٠٥)، ومسلم: (٤ / ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠، رقم

٢٦٤٧)، من حديث: عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُسِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَسِرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَسِرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٥ - ٦] الآية.

والحديث بنحوه في الصحيحين من رواية عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَفِي «صحيح مسلم» من رواية: جَابِرِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ الْأَعْلَى: ٥-١٠].

فَكَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَزِيَادَتُهُ الطَّاعَةُ وَنُقْصَانُهُ الْمَعْصِيَةُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَكَذَلِكَ الْعُمُرُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَسْبَابِ فَهُوَ لَا يُنَافِي مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ أَيْضًا، فَتَأَمَّلْ هَذَا فَإِنَّهُ مُهِمٌّ جِدًّا فِي حَلِّ مَشَاكِلَ كَثِيرَةٍ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ، وَالْآثَارِ الْمَوْقُوفَةِ الدُّعَاءُ بِطُولِ الْعُمُرِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، نَسَأَلَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْوَاصِلِينَ، وَلَا يَجْعَلَنَا مِنَ الْقَاطِعِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْبَرَّةِ الْبَارِّينَ.

الْإِنْسَانُ رَبَّمَا اسْتَشْكَلَ فَقَالَ:

كَيْفَ يُدْعَى بِطُولِ الْعُمُرِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعُمُرَ ثَابِتٌ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ؟

جَعَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَجَلًا، وَهُوَ الْمَكْتُوبُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ، وَجَعَلَ اللَّهُ ﷻ أَجَلًا، وَهَذَا الْأَجَلُ إِنَّمَا يَكُونُ مُرْتَبَطًا بِأَسْبَابٍ يَأْخُذُ بِهَا الْعَبْدُ، فَإِذَا وَصَلَ رَحِمَهُ فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى أَبْعَدِ الْأَجَلِينَ، وَهُوَ مَا يَعْلَمُهُ رَبُّنَا ﷻ، فَكُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَهُوَ صَائِرٌ إِلَى مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى مُقْتَضَى الْعِلْمِ عِنْدَ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا وَكِتَابَةِ الْمَقَادِيرِ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ ۖ جَعَلَ لِذَلِكَ أَسْبَابًا كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُكُونُ شَقِيًّا وَيَكُونُ سَعِيدًا، وَذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ - وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا - مِنْ غَيْرِ مَا جَبَرَ عَلَيَّ أَنْ يُكُونَ أَخِيذًا بِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَلَا أَخِيذًا بِأَسْبَابِ الشَّقَاوَةِ، بَلْ يُيسِّرُهُ اللَّهُ ۖ لِهَذَا وَهَذَا، وَإِذَا أَخَذَ فِي أَحَدِهِمَا وَمَضَى فِيهِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَيَّ نَتِيجَتَهُ.

فَصِلَةُ الْأَرْحَامِ سَبَبٌ لِبَسْطِ الرِّزْقِ وَسَعَتِهِ وَالْبَرَكَاتِ فِيهِ، كَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيُنْقُصُ، وَزِيَادَتُهُ بِالطَّاعَةِ وَنَقْصَانُهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَذَلِكَ لَا يُنَافِي مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَكَذَلِكَ الْعُمُرُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْأَسْبَابِ فَهَذَا لَا يُنَافِي مَا كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَيْضًا؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ وَالْآثَارِ الْمَوْقُوفَةِ أَنَّ الدُّعَاءَ يُطِيلُ الْعُمُرَ

فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ (١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ». الْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ» وَكُلُّ ذَلِكَ - أَيْ: مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ فِي الْمُنْتَهَى - مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، لَا يَتَعَدَّاهُ أَحَدٌ بِحَالٍ. (*).

(١) أخرجه أحمد: (٦ / ١٥٩، رقم ٢٥٢٥٩)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: (٢ / ٤٨-٤٩، رقم ٥١٩)، وَفِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»: (٢ / ٦٦٨، رقم ٢٥٢٤) (*). مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (سَرُحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُنْفَرِدِ) بَابُ: صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ: مِنْ ص ٣٩٧ إِلَى ص ٤٠٢ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ كَثُرَ مَالُهُ وَأَحَبَّهُ أَهْلُهُ:

وَصَلَّةُ الرَّحِمِ كَمَا أَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَالرِّزْقِ سَبَبٌ لِحُلْبِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّوْقِيرِ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَرْحَامِ:

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «مَنْ اتَّقَى رَبَّهُ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ، أَنْسَى لَهُ فِي عَمْرِهِ، وَثَرَى مَالَهُ، وَأَحَبَّهُ أَهْلُهُ» (١) وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانٌ أَنَّ التَّقْوَى وَصَلَّةَ الْأَرْحَامِ سَبَبَانِ رَيْسَانِ لِلتَّوَسُّعَةِ فِي الرِّزْقِ وَالبَّرَكَةِ فِي الْمَالِ وَالْعُمْرِ، وَجَلْبِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّوْقِيرِ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَرْحَامِ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يُسْتَجَلَبُ بِهِ الرِّزْقُ مَعَ السَّعَةِ فِيهِ، وَمَا يُنْسَأُ بِهِ وَيَزْدَادُ فِي الْأَعْمَارِ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مُقَدِّمَةٌ فِي ذَلِكَ، لِذَلِكَ خَصَّهَا النَّبِيُّ ﷺ بِالذِّكْرِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْعَامَّ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ التَّقْوَى ثُمَّ ذَكَرَ وَصَلَ الْأَرْحَامِ. (*).



(١) أَخْرَجَهُ البخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٣٤-٣٥، رقم ٥٨ و ٥٩)، ووكيع في «الزهد»: (ص ٧١٤، رقم ٤٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٢٥٣٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٠/٣٤٤-٣٤٥، رقم ٧٦٠٠).

والأثر حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»: (ص ٥١، رقم ٤٣).
 (* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أَحَبَّهُ اللَّهُ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ: ص ٤٠٧-٤٠٨

كَيْفَ نَصِلُ رَحِمَنَا؟

وَالصَّلَاةُ لِلرَّحِمِ تَكُونُ بِأَنْوَاعٍ:

تَكُونُ بِتَعْلِيمِ الْعِلْمِ: وَذَلِكَ عِنْدَ قُدْرَةِ الْوَاصِلِ عَلَى التَّعْلِيمِ، وَحَاجَةِ الْمَوْصُولِ مِنَ الْأَرْحَامِ إِلَى التَّعْلِيمِ، وَهُوَ خَيْرٌ مَا يَصِلُ الْإِنْسَانُ بِهِ رَحِمَهُ؛ أَي: قَرَابَتَهُ.

وَصَلُّهُ بِالْمَالِ: عِنْدَ الْقُدْرَةِ مِنَ الْوَاصِلِ، وَعِنْدَ الْحَاجَةِ مِنَ الْمَوْصُولِ.

وَصَلُّهُ بِالْأَقْدَامِ، وَبِالْمُخَاطَبَاتِ وَالْمُكَاتَبَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْوُصُولِ بِالْأَقْدَامِ، لِأَسِيْمًا فِي هَذَا الزَّمَنِ بِالْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ، كَالِهَاتِفِ، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ الْإِنْسَانُ رَحِمَهُ، وَيَسْأَلُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَإِنْ تَأَخَّرَ فِي الْوُصُولِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ.

وَهَذِهِ الصَّلَاةُ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ الْمُبَارَكَةِ تُقَابِلُهَا الْقَطِيعَةُ، فَالصَّلَاةُ مِنَ الْبِرِّ، وَالْقَطِيعَةُ مِنَ الْإِثْمِ، فَلْيَحَاوِلِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ وَاصِلًا لِأَقْرَبِيهِ بِحَسَبِ قُرْبِهِمْ وَبُعْدِهِمْ، طَالَمَا هُوَ يَمْتُ إِلَيْهِمْ بِصَلَاةٍ، وَهُمْ كَذَلِكَ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ؛ فَإِنَّهُمْ أَرْحَامٌ أَوْجَبَ اللَّهُ ﷻ صِلَتَهُمْ، وَنَهَى عَنِ الْقَطِيعَةِ، وَعَدَّهَا مِنَ الْكِبَايِرِ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

فَالْقَطِيعَةُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَإِثْمٌ كَبِيرٌ، وَالصَّلَاةُ فَضْلٌ كَبِيرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ
عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَقَدْ يُوَاجِهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَرْحَامِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَإِذَا وَاجَهُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَعَلَيْهِ أَنْ
يَتَغَلَّبَ عَلَى ذَلِكَ بِالصَّبْرِ، وَالِاسْتِمْرَارِ فِي الصَّلَاةِ وَعَدَمِ الْقَطِيعَةِ، وَيَنْسَى حُظُوظَ
النَّفْسِ حَتَّى يُعَيِّرَ اللَّهَ لِأَلْحَوَالِ، مِنْ حَالِ الْقَطِيعَةِ إِلَى حَالِ الصَّلَاةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ،
فَتَصِلِحُ الْمُجْتَمَعَاتُ وَيَحْصُلُ التَّالْفُ بَيْنَ الْأَقْرَابِ فِي النِّسْبِ، وَكَذَلِكَ الْأَقْرَابُ
بِالْجَوَارِ وَالْأَصْحَابِ، فَالْمُجْتَمِعُ لَا يَكُونُ سَعِيدًا إِلَّا إِذَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِهِ التَّوَاصُلُ
وَالْتَوَادُ وَالتَّرَاحُمُ وَالْمُحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ

وَمِنْ مَعَانِي صِلَةِ الرَّحِمِ: إِنْدَارُ الْأَقْرَابِ مِنَ النَّارِ، وَحَثُّهُمْ عَلَى الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ؛ لِإِنْقَادِهِمْ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ يَكُونُ عَلَى أَسَاسِ
الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا تَنْفَعُ الْقَرَابَةُ وَالنِّسْبُ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ
«وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (١) (٢)

(١) «وَمَنْ بَطَأَ...» بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ مِنَ التَّبَطُّئَةِ ضِدَّ التَّعَجُّلِ، وَفِي رَوَايَةٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: «وَمَنْ
أَبْطَأَ...» وَأَلْحَمِدُ: «وَمَنْ يُبْطِئُ بِهِ عَمَلُهُ»، أَي: مَنْ أَخَّرَهُ وَجَعَلَهُ بَطِيئًا عَمَلُهُ السَّيِّئُ
وَتَفْرِيطُهُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَنْ يُبْلَغَ بِهِ دَرَجَاتِ الْأَخِرَةِ وَالْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، «لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» مِنَ
الْإِسْرَاعِ، أَي: لَمْ يُقَدِّمَهُ نَسَبُهُ فَيُبْلَغُهُ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ الْجَزَاءَ عَلَى
الْأَعْمَالِ، لَا عَلَى الْأَنْسَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ
وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

(٢) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (٤ / ٢٠٧٤، رَقْمٌ ٢٦٩٩)،
وَطَرَفُهُ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا...» الْحَدِيثُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَنادَى: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْأَفٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُهُمَا بِبِلَالِهَا»^(١). الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ نَحْوَهُ فِي «الصَّحِيحِ».

سَأَبُلُهَا بِبِلَالِهَا: أَيِ أَصْلِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وَمِنْ مَعَانِي صَلَاةِ الرَّحِمِ: رَدُّ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي شَاعَتْ بَيْنَ الْجَهْلَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَكُونُ شَفِيعًا وَخَيْرَ وَسِيلَةٍ عِنْدَ اللَّهِ ﻋَزَّ وَجَلَّ وَبِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ نَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ، فَالْحَدِيثُ يُرَدُّ ذَلِكَ. (*).



(١) أخرجه البخاري: (٥ / ٣٨٢، رقم ٢٧٥٣)، ومسلم: (١ / ١٩٢ - ١٩٣، رقم ٢٠٤ و ٢٠٦).

(* ما مرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: وَجُوبُ صَلَاةِ الرَّحِمِ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ: ص ٣٦٧ وَمِنْ ص ٣٦٩ إِلَى ص ٣٧٢ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

مَنْ هُوَ وَاصِلُ الرَّحِمِ:

لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي:

وَإِنَّ الْوَاصِلَ هُوَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّاهَا:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّاهَا» (١)

وَاصِلُ الرَّحِمِ: هُوَ الَّذِي يَصِلُ مَا قُطِعَ مِنْهُ، لَا الَّذِي يُكَافِي عَلَى الْوَصْلِ يُوصِلُ هُوَ بِهِ، وَإِنَّمَا تُقَطَّعُ رَحِمُهُ فَيَصِلُهَا هُوَ، فَهَذَا هُوَ وَاصِلُ الرَّحِمِ فِي لِسَانِ الشَّرْعِ، كَمَا جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قُرَابَةَ أَصْلِهِمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأَعْطِيهِمْ وَيَحْرِمُونَنِي، وَأَحْلُمُ عَلَيْهِمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، وَهَذَا أَمْرٌ شَدِيدٌ جِدًّا، لِأَنَّ مُقَابَلَةَ الْإِحْسَانِ بِالْإِسَاءَةِ، فَكَلَّمَا أَحْسَنَ أَسَاءُوا هُمْ، وَكَلَّمَا أَعْطَى حَرَمُوهُ هُمْ، وَكَلَّمَا حَلَمَ عَلَيْهِمْ جَهَلُوا عَلَيْهِ هُمْ، فَذَهَبَ يَشْكُو لِلنَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ الْمُعَامَلَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّ الْمَقَامَ عَالٍ جِدًّا: «لَيْنُ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ

(١) أخرجه البخاري: (١٠/٤٢٣)، رقم (٥٩٩١)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَكَأَنَّمَا تَسْفُهُمُ الْمَلَّ وَهُوَ التُّرَابُ الْحَارُّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ
عَلَى ذَلِكَ» (١)

لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَإِنَّمَا الْوَاصِلُ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصَلَهَا، فَلَا
يُنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْطَعَ الْخَيْرَ بِسَبَبِ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ أَوْ عَدَمِ الْعُودَةِ إِلَيْهِ بِمِثْلِ مَا قَدَّمَ
مِنَ الْخَيْرِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنْتَظِرُ مِنْ أَحَدٍ جَزَاءً
وَلَا شُكُورًا، وَهَذَا هُوَ الْمُخْلِصُ حَقًّا. (*)



(١) أخرجه مسلم: (٤/١٩٨٢، رقم ٢٥٥٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي - الْجُزْءُ
الْأَوَّلُ: ص ٤٣٨ و ص ٤٤٠ - ٤٤١ بَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

خُطُورَةُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ:

وَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُجِبُّ صَلَاةَ الْأَرْحَامِ، فَإِنَّهُ ﷺ يَكْرَهُ قَطِيعَتَهَا:

وَالرَّحِمُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ مُشْتَبِكَةٌ بِهَا وَالْقَاطِعُ لَهَا قَاطِعٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ يَصِلْهَا يَصِلْهُ، وَمَنْ يَقْطَعْهَا يَقْطَعْهُ، لَهَا لِسَانٌ طَلَّقَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ (١)

وَالْمَعْنَى: الرَّحِمُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ مُشْتَبِكَةٌ بِهَا، وَالْقَاطِعُ لَهَا قَاطِعٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّ الرَّحِمَ تَشْكُو وَتَنْطِقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا لِسَانٌ طَلَّقَ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: سَلِّ هَذَا لِمَ قَطَعَنِي؟

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٣٣، رقم ٥٤)، وأبو داود: (٤/٢٨٥، رقم

٤٩٤١)، مختصراً، والترمذي: (٤/٣٢٣-٣٢٤، رقم ١٩٢٤).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني في «صحيح الأدب

المفرد»: (ص ٤٩-٥٠، رقم ٣٩)، وفي «الصحيحة»: (٢/٥٩٤-٥٩٦، رقم ٩٢٥) و

(٥/٦١٣-٦١٤، رقم ٢٤٧٤).

وَفِي الْحَدِيثِ: التَّأْكِدُ عَلَى حُرْمَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، لِأَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ الرَّحِمِ
مِنَ الْكِبَائِرِ

تَعْظِيمُ أَمْرِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ وُصَلَتَهَا مَنْدُوبَةٌ وَمُرَغَّبٌ فِيهَا

الرَّحِمُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ اسْمِ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا
قَطَعَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: فَضْلُ صِلَةِ الرَّحِمِ - الْجُزْءِ الْأَوَّلِ:

ص ٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

عُقُوبَاتُ قَاطِعِ الرَّحِمِ:

عُقُوبَةُ قَاطِعِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا:

وَإِنَّ مِنْ تَعْجِيلِ عُقُوبَةِ اللَّهِ لِقَاطِعِ الرَّحِمِ أَنْ يُعَاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يُدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْبَغْيِ»^(١) وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

أَحْرَى؛ أَيُّ: أَجْدَرُ وَأَوْلَى.

مَعَ مَا يُدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ أَيُّ: مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ.

وَاشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى بَيَانِ إِثْمَيْنِ عَظِيمَيْنِ، هُمَا:

قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ إِثْمِهِ وَحُمُكِهِ.

(١) أخرجه أبو داود: (٧/ ٢٦٣، رقم ٤٩٠٢)، والترمذي: (٤/ ٢٨١، رقم ٢٥١١)، وابن

ماجه: (٢/ ١٤٠٨، رقم ٤٢١١)، من حديث: أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، كذا صححه الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٥٨٨،

رقم ٩١٨).

وَالْبَغْيِ، الَّذِي هُوَ ظَلَمُ الْغَيْرِ فِي مَالِهِ أَوْ عَرَضِهِ أَوْ دَمِهِ.

وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ عَدَمُ صِلَتِهَا.

فَالْقَاطِعُ وَالْبَاغِي يَجْمَعُ اللَّهُ لَهُمَا بَيْنَ عُقُوبَتِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخَطَرِ مَا وَقَعَا فِيهِ مِنَ الذَّنْبِ، فَمَنْ قَطَعَ أَرْحَامَهُ وَبَغَى عَلَى النَّاسِ بَدُونِ حَقٍّ وَبَدُونِ وَجْهِ شَرْعِيٍّ، سَيَكُونُ جَزَاؤُهُ أَنْ يُعَاقِبَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَيُعَاقِبَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَكُلُّ هَذَا فِيهِ تَرْهيبٌ عَظِيمٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي قَطِيعَةِ الْأَرْحَامِ، وَمِنَ الْوُقُوعِ فِي الْبَغْيِ الَّذِي هُوَ التَّعَدِّيُّ عَلَى الْغَيْرِ بَدُونِ حَقٍّ، بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَدِّيِّ؛ إِمَّا بِالْوُقُوعِ فِي الْعَرَضِ؛ كَالْغِيْبَةِ وَالْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ، وَإِمَّا بِسَفْكِ الدَّمِ كَالْقَتْلِ فَمَا دُونَهُ، حَتَّى اللَّطْمَةِ، وَإِمَّا بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ كَالسَّرِقَةِ وَالنَّهْبِ وَالِإِخْتِلَاسِ وَالْغَشِّ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَالْغَشِّ فِي الْعَمَلِ الْوِظْفِيِّ، كُلُّ هَذَا يُعْتَبَرُ بَغْيًا، أَوْ شَهَادَةَ الزُّورِ عَلَى شَخْصٍ فَيُظَلَمُ، كُلُّ هَذَا مِنَ الْبَغْيِ.

وَلَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبَيَّنَّ بِأَنَّ الْقَاطِعَ وَالْبَاغِيَّ عَلَى الْغَيْرِ عُقُوبَتُهُمَا مُعَجَّلَةٌ وَمُوجَلَّةٌ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْبَغْيِ الْمُشِينِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ الْمَوْجِبَةِ لِلْعَذَابِ الْمُهِينِ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: عُقُوبَةُ قَاطِعِ الرَّحِمِ فِي الدُّنْيَا- الْجُزْءِ الْأَوَّلِ: ص ٤٣٥- ٤٣٦- ٤٣٧ بِتَصْرُفٍ يَسِيرٍ.

لَا يَقْبَلُ عَمَلِ قَاطِعِ رَحِمٍ:

وَقَاطِعِ الرَّحِمِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلًا:

فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ سُلَيْمَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: جَاءَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: «أُحْرَجُ عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا» فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ حَتَّى قَالَ ثَلَاثًا، فَاتَى فَتَى عَمَّةً لَهُ قَدْ صَرَمَهَا مِنْذُ سَتَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي، مَا جَاءَ بِكَ؟

قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا.

قَالَتْ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ: لِمَ قَالَ ذَلِكَ؟

قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ عَمَلَ قَاطِعِ رَحِمٍ»^(١). هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«فَاتَى فَتَى عَمَّةً لَهُ قَدْ صَرَمَهَا» أَي: هَجَرَهَا وَقَطَعَ حَبْلَ وَصَالِهَا وَتَرَكَهَا مِنْذُ سَتَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْهَجْرَانِ؟

قَوْلُهُ ﷺ: «تُعْرَضُ»: مَعْنَى الْعُرْضِ: الْإِظْهَارُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقْرَأُ الصُّحُفَ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٣٥، رقم ٦١)، وأحمد: (٢/ ٤٨٣-٤٨٤،

رقم ١٠٢٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٠/ ٣٤٠-٣٤١، رقم ٧٥٩٣ و٧٥٩٥).

والحديث حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ٦٧٤، رقم ٢٥٣٨).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه حَرَجَ - أَي: أَوْقَعَ فِي الضِّيقِ وَالْإِثْمِ -
عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
وَفِيهِ: الزَّجْرُ الشَّدِيدُ لِقَاطِعِ الرَّحِمِ. (*)

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ:

وَإِنَّ قَاطِعَ الرَّحِمِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ:

أَخْبَرَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ
رَحِمٍ» هَذَا الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ (٢).

وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى تَأْوِيلَيْنِ:

الأوَّلُ: يُحْمَلُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِلُّ قَطْعَ الرَّحِمِ بِلَا سَبَبٍ وَلَا شُبْهَةٍ مَعَ عِلْمِهِ
بِتَحْرِيمِهَا فَهَذَا كَافِرٌ مُرْتَدٌّ. فَهَذَا تَأْوِيلٌ، وَهَذَا يَدْخُلُ النَّارَ عَلَى سَبِيلِ التَّأْيِيدِ.

الثَّانِي: لَا يَدْخُلُهَا مَعَ السَّابِقِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ بَلْ يُعَاقَبُ بِتَأْخِرِهِ الْقَدَرُ الَّذِي
يُرِيدُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهَذَا تَأْوِيلٌ ثَانٍ.

قَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ عَدَمَ دُخُولِ الْجَنَّةِ يُحْمَلُ تَارَةً عَلَى مَنْ يَسْتَحِلُّ
الْقَطِيعَةَ - وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ - وَأُخْرَى عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا مَعَ السَّابِقِينَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: بَرِّ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ - الْجُزْءِ الْأَوَّلِ:

ص ٤١٦ و ٤١٨ - ٤١٩

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: (١٠ / ٤١٥)، رَقْمُ (٥٩٨٤)، وَمُسْلِمٌ: (٤ / ١٩٨١ - ١٩٨٢)، رَقْمُ

(٢٥٥٦).

وَفِيهِ: عِظْمٌ إِثْمٌ قَاطِعِ الرَّحِمِ حَيْثُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ. (*).

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْدَأَ فِي صَلَاةِ أَرْحَامِهِ وَأَنْ يَسْتَمِرَّ فِي ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يُقَابِلُوا صَنِيعَهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْوَصْلِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ عَلَى قَاعِدَةِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ، فَهُوَ مُتَّبِعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْتَظِرُ عَلَيْهَا أَجْرًا وَثَوَابًا مِنْ أَحَدٍ كَلَّفَهُ اللَّهُ وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَلَاةِ الرَّحِمِ فَهُوَ يَصِلُهَا. (*)(٢).

عِبَادَ اللَّهِ! تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ الْمُمَزَّقَةَ، وَارْفَعُوا الْخُصُومَاتِ، وَعُودُوا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ كُلَّ الْعَبْدِ الَّذِي يَذُلُّ لِكِتَابِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَيَقُولُ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَأَمْرِ نَبِيِّهِ ﷺ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَأَمَّا الَّذِي يَرُدُّ أَمْرَ اللَّهِ وَيَرُدُّ أَمْرَ نَبِيِّهِ ﷺ فَلَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَيْءٍ، «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» (٣).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: إِثْمٌ قَاطِعِ الرَّحِمِ - الْجُزْءِ الْأَوَّلِ:

ص ٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨

(*)(٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) بَابِ: لَيْسَ الْوَاصِلِ بِالْمُكَافِي - الْجُزْءِ

الْأَوَّلِ: ص ٤٤٠

(٣) جزء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَهْدِينَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. (*)



خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ».

أخرجه مسلم: (١/٦٩-٧٠، رقم ٥٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (بُرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ) الْمُحَاضِرَةِ الْأُولَى - الْجُمُعَةَ

صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ:

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ^(١) بِسَنَدِهِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَالْأَفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ. وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ» وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ^(٢) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ» وَهُوَ إِسْنَادٌ حَسَنٌ.

(١) أخرجه الحاكم: (١/١٢٤، رقم ٤٢٩)، والترمذي: (٣/٤٣، رقم ٦٦٤) مختصراً، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٠/٤٠٥-٤٠٦، رقم ٧٧٠٤).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٨/٣١٢، رقم ٨٠١٤)، والجصاص في «أحكام القرآن»: (٢/٣٥٢).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/٥٣٢، رقم ٨٨٩)، وله شواهد من رواية ابن مسعود وأم سلمة وأبي سعيد الخدري ومعاوية بن حيدة وأنس رضي الله عنهم، وروي عن أسلم القرشي وسعيد بن المسيب، مرسلًا.

فَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ أَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.
وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي
الْآخِرَةِ.

وَإِنَّ مَنْ أَعْرَفَ الْمَعْرُوفِ وَأَبْرَ الْبِرِّ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُؤَدِّيًا لِحُقُوقِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَيْهِ.

أَعْظَمُ الْحُقُوقِ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى:

وَإِنَّ أَوَّلَ الْحُقُوقِ عَلَى الْعَبْدِ لِحَقِّ الرَّبِّ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِرُجُوعِهِ
الْكَرِيمِ، وَبِنَهْيِ الشُّرْكِ مِنْ عَمَلِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَلَفْظِهِ وَالْإِتْيَانِ بِتَوْحِيدِ رَبِّهِ.

أَحَقُّ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ: حَقُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

وَمِنْ أَحَقِّ الْحُقُوقِ وَأَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَقُّ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ؛ وَذَلِكَ بِتَصَدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ، وَبِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِمَا جَاءَ بِهِ
النَّبِيُّ ﷺ.

فَلَا يَتَقَدَّمُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ يُسَلِّمُ لَهُ يُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَيُصَدِّقُهُ
فِيمَا أَخْبَرَهُ بِهِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَلَا يَعْبُدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

أَعْظَمُ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقِّ رَسُولِهِ ﷺ، حَقُّ الْأَبْوَيْنِ:

وَيَلِي حَقَّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحَقَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفَرَضِيَّةِ وَالْوُجُوبِ حَقُّ
الْأَبْوَيْنِ.

وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخَلْقِ لَيُفَرِّطُونَ فِي هَذَا الْحَقِّ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يُلقُونَ لَهُ
بَالًا، بَلْ يَعْتَدِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَقِّ الْمَكِينِ الَّذِي ذَكَرَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
بَعْدَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ. (*)

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿﴾ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿﴾

[النساء: ٣٦]

(وَحُدُّوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَلَا تَجْعَلُوا لَهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ
وَالْإِلَهِيَّةِ شَرِيكًا، وَأَحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ بَرًّا بِهِمَا وَعَظْفًا عَلَيْهِمَا بِالْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِمَا
وَتَحْصِيلِ مُرَادِهِمَا وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا بِقَدْرِ الْقُدْرَةِ). (*) (٢/).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿﴾ [الأنعام: ١٥١]

(قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِتَحْرِيمِ مَا
حَرَّمَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: هَلُمُّوا أَيُّهَا الْقَوْمُ أَخْبِرْكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فَعَلَهُ أَوْ تَرَكَهُ حَقًّا يَقِينًا لَا ظَنًّا وَلَا كَذِبًا كَمَا زَعَمْتُمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقِ

٢٢/١/٢٠١٠م

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) بِتَصْرِفٍ يَسِيرٍ. سُورَةُ النَّسَاءِ الْجُمُعَةَ ٩ مِنْ

رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ الْمُوَافِقِ ٢٦/٦/٢٠١٥م

الْمُحَرَّمُ الْأَوَّلُ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ: فَلَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ،
الْمُحَرَّمُ الثَّانِي: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، بَعْدَمِ الْقِيَامِ بِطَاعَتِهِمَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا،
فَأَحْسِنُوا بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. (*).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]

وَأَنْهَىٰ رَبُّكَ إِرَادَتَهُ التَّكْلِيفِيَّةَ بِقَضَاءِ مُبْرَمٍ فِي وَصَايَا مُوجَّهَةٍ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أُمَّتِهِ،

الْوَصِيَّةُ الْأُولَى: تَفْسِيرُهَا: أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، فَاجْعَلُوا كُلَّ عِبَادَاتِكُمْ
مَحْضُورَةً بِهِ وَمَقْصُورَةً عَلَيْهِ

الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: وَأَمَرَ بِالْوَالِدَيْنِ بَرًّا بِهِمَا وَعَطْفًا عَلَيْهِمَا وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمَا، إِمَّا
يَبْلُغَانِ إِلَىٰ حَالَةِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ فَيَصِيرَانِ عِنْدَكَ فِي آخِرِ الْعُمْرِ، كَمَا كُنْتَ
عِنْدَهُمَا فِي أَوَّلِ الْعُمْرِ، فَلَا تَقُلْ لَهُمَا كَلِمَةً تَضْجُرُ وَكَرَاهِيَّةً، مِثْلَ كَلِمَةِ أُفٍّ فَضْلًا
عَمَّا هُوَ أَشَدُّ مِنْهَا، وَلَا تَزْجُرْهُمَا عَمَّا يَتَعَاطَيَانِهِ مِمَّا لَا يُعْجِبُكَ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
حَسَنًا كَرِيمًا لَيْنًا، فِيهِ تَكْرِيمٌ لَهُمَا وَتَعْظِيمٌ لِفَضْلِهِمَا، وَإِنْ جَانَبَكَ وَأَقْبَضَهُ مُتَدَلِّلًا

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) الْمُحَاصِرَةِ الرَّابِعَةِ، ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ

لَهُمَا، تَذَلُّلاً نَاشِئاً عَنِ خَلْقِ الرَّحْمَةِ الْمُتَغَلِّغِلِ إِلَى قَلْبِكَ، وَتَذَلُّلاً لَهُمَا تَذَلُّلُ الرَّاحِمِ لَا تَذَلُّلُ الضَّعِيفِ الْمُهِينِ، حَتَّى لَا تَمْتَنِعَ عَنِ الْقِيَامِ بِكَبِّ صُورِ الْعَطْفِ وَالْإِحْسَانِ، مِنْ خِدْمَةٍ وَمُسَاعَدَةٍ وَعَطَاءٍ وَتَكْرِيمٍ وَاحْتِرَامٍ، وَسَهَرٍ وَصَبْرٍ، وَبَذْلِ وَتَضَحِيَةٍ وَتَوَاضُعٍ وَتَحَبُّبٍ، وَقُلْ: رَبِّ ارْحَمْهُمَا بِرَحْمَتِكَ الْبَاقِيَةِ، لِأَجْلِ أَنَّهُمَا رَبِّيَانِي حَالَةَ كَوْنِي صَغِيرًا، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُومَ بِشُؤْنِي لِنَفْسِي. (*)

فَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ الْأَمْرِ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ بِيْرِ الْوَالِدَيْنِ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا؛ فَهَذَا مِنْ أَكْدِ الْحُقُوقِ وَمِنْ أَجَلِّهَا.

وَبَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يُجِيزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَلَفَّظَ بِكَلِمَةٍ سُوِّءٍ تُنْمُّ عَنْ ضَجْرٍ يُحِسُّهُ فِي نَفْسِهِ؛ فَيُعْلِنُهُ بِلِسَانِهِ ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا﴾

فَلَمْ يُجِزْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَتَأَفَّفَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَبِيهِ إِذَا بَلَغَا الْكِبَرَ وَصَارَا إِلَى حَالٍ لَا يَتَحَكَّمَانِ فِيهَا فِي الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ؛ فَيَتَأَفَّفُ مِنْهُمَا مُتَضَجِّرًا، وَقَدْ كَانَا يَرِيَانِ مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْظَمَ مِنْهُ، وَلَا يَتَضَجَّرَانِ، وَإِنَّمَا يَأْتِيَانِ بِهِ بِسَمَاحَةٍ نَفْسٍ وَطِيبِ خَاطِرٍ.

فَنَهَى رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ تَأَفُّفِ الْمَرْءِ مِنْ أَبِيهِ أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ حَقَّهُمَا عَظِيمًا، وَجَعَلَ الْوَاجِبَ عَلَى الْعَبْدِ تَجَاهَهُمَا وَاجِبًا جَسِيمًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةِ الْإِسْرَاءِ الْأَرْبَعَاءِ ١ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٧ هـ

فَإِذَا فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا
مَعَ مَا يُدَّخِرُ لَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ.» (١)
وَإِنَّ أَوْلَى الْأَرْحَامِ بِالرَّعَايَةِ لَهِيَ مَا يَتَّصِلُ بِالْأَبْوَيْنِ. (*)



(١) أخرجه أبو داود: (٤ / ٢٧٦، رقم ٤٩٠٢)، والترمذي: (٤ / ٦٦٤، رقم ٢٥١١)، وابن
ماجه: (٢ / ١٤٠٨، رقم ٤٢١١)، من حديث: أبي بكرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «الصحيحة»: (٢ / ٥٨٨ -
٥٨٩، رقم ٩١٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ

فَضْلُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ:

تَنَاءَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِالْبِرِّ لِلْوَالِدَيْنِ:

وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي تَنَائِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هَذِهِ الْخَصْلَةَ.

مَدَحَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ بِيْرِ الْأُمِّ فِي الْمَسِيحِ،
وَبِيْرِ الْوَالِدَيْنِ فِي حَالِهِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ. (*)

وَأَنَّ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ
اللَّهُ عَلَّمَكَ؟

قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَقْتِهَا

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

قَالَ: ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ» (١).

سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟

أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؛ أَيُّ: يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَرْضَى بِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْأُخْرَى،
اسْمُ التَّفْضِيلِ هُنَا بِاعْتِبَارِ الْفَضْلِ الْمَطْلُوقِ لَا بِاعْتِبَارِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْوَاعِ؛ وَلِذَلِكَ
يَكُونُ الْجَوَابُ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ لِلْسَائِلِ أَوْ أَفْضَلُ عَلَيَّ مُقْتَضَى الْوَقْتِ وَالزَّمَانِ.

فَقَدْ يَتَكَرَّرُ السُّؤَالُ بِعَيْنِهِ، وَتَخْتَلِفُ الْإِجَابَةُ، وَلَكِنْ يُجِيبُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا هُوَ
أَفْضَلُ لِلْسَائِلِ، أَوْ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ عَلَيَّ مُقْتَضَى الْوَقْتِ وَالزَّمَانِ.

قَالَ ﷺ: الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَقْتِهَا: الْمُرَادُ بِالْوَقْتِ هُنَا: الْوَقْتُ الْمُسْتَحَبُّ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟» يَعْنِي: ثُمَّ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ.

قَالَ: ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ يَعْنِي: الْأَبَّ وَالْأُمَّ، وَالْبِرُّ ضِدُّ الْعُقُوقِ، وَالْعُقُوقُ
الْإِسَاءَةُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَإِضَاعَةُ حُقُوقِهِمَا

وَالْبِرُّ نَوْعَانِ: صِلَةٌ، وَمَعْرُوفٌ

فَالصِّلَةُ: بَذْلُ الْمَالِ فِي الْجِهَاتِ الْمَحْمُودَةِ بِغَيْرِ عَوَضٍ مَطْلُوبٍ لَا عَاجِلًا

وَلَا آجِلًا

(١) أخرجه البخاري: (١٠ / ٤٠٠، رقم ٥٩٧٠)، ومسلم: (١ / ٨٩ - ٩٠، رقم ٨٥).

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: الْجِهَادُ مُحَارَبَةُ الْكُفَّارِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَبِكُلِّ مَا يَمْلِكُهُ الْمُسْلِمُ.

وَقَوْلُهُ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ: أَيُّ بِهِذِهِ الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

قَوْلُهُ: لَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي أَيُّ: لَوْ اسْتَفْسَرْتُهُ عَنْ مَرَاتِبِ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَإِنَّمَا خَصَّ الثَّلَاثَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا عُنْوَانٌ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الطَّاعَاتِ؛ فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.

وَمَنْ لَمْ يَبِرَّ وَالِدَيْهِ مَعَ عِظَمِ حَقِّهِمَا عَلَيْهِ، فَهُوَ لِغَيْرِهِمَا أَقْلُ بَرًّا، وَمَنْ قَعَدَ عَنِ جِهَادِ الْكَافِرِينَ مَعَ شِدَّةِ عِدَاوَتِهِمْ لِلدِّينِ، فَهُوَ أَشَدُّ قُعُودًا عَنِ الْجِهَادِ لِغَيْرِهِمْ، فَمَنْ حَافِظٌ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ، فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَحْفَظُ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: فَضْلُ تَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، وَأَعْظَمُ حُقُوقِ الْعِبَادِ حَقُّ الْوَالِدَيْنِ. (*)

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي كَشْفِ الْكُرْبَاتِ:

وَإِنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي كَشْفِ الْكُرْبَاتِ وَإِزَالَةِ الْمَلَمَّاتِ وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَأَ الْمَيْمِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ - وَالْغَارُ:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) الْجُزْءِ الْأَوَّلِ: بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) ص ١٢٩ و ص ١٣٣-١٣٤-١٣٥

كُوَّةٌ فِي الْجَبَلِ لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا مَا سُدَّتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، بَلْ إِنَّهُ يَكُونُ مُعْرَضًا -لِعَدَمِ التَّهْوِيَةِ، لَا لِحُودَتِهَا؛ أَنْ يَمُوتَ اخْتِنَاقًا، فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا-.

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «فَقَالُوا: -فِيمَا يَرُويهِ لَنَا رَسُولُنَا ﷺ - إِنَّهُ لَا يُنَجِّيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانِ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا..».

أَمَّا الْغُبُوقُ: فَهُوَ سَقْيُ الْعَشِيِّ، يَعْنِي كَانَ يَرُوحُ إِلَى أَبِيهِ وَإِلَى أُمِّهِ بِغَنَمِهِ أَوْ بِإِبِلِهِ أَوْ بِبَقَرِهِ، فَيَحْلُبُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ لَا يَسْقِي أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ؛ لَا زَوْجَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَا مَالًا -يعني: وَلَا رَقِيقًا- حَتَّى يَسْقِي أَبَوَيْهِ الشَّيْخَيْنِ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ: كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ؛ يَعْنِي بَلَغَ بِهِمَا كِبَرَ السَّنِّ مَبَالِغَهُ.

قَالَ: «فَلَمْ أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ..».

وَقَعَ الرَّجُلُ لِحُودَةِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُرَاقَبَةِ، وَلِعِظَمِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمِنَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ بِالْفِكْرِ الْمُسْتَقِيمِ.. وَقَعَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُحِيرَيْنِ جِدًّا، إِمَّا أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْ أَبَوَيْهِ، فَيُخَالِفَ الْمَأْلُوفَ مِنْ عَادَتِهِ، وَرُبَّمَا انْتَبَهَا وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ!

وَضَعُ نَفْسَكَ مَكَانَهُ، وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، يُورَفَّانِ كَثِيرًا كَحَالِ كِبَارِ السَّنِّ فِي لَيْلِهِمَا الَّذِي يَطُولُ أَحْيَانًا كَأَنَّمَا شُدَّتْ نَجْوَمُهُ بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ!!

أَمَّا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَقَدْ يَأْرُقُ فِي لَيْلِهِ فَلَا يَجِدُ ابْنَهُ قَدْ أَتَى بِالْغُبُوقِ، فَيَظُنُّ بِهِ الظُّنُونَ، أَوْ رُبَّمَا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَالَفَ عَادَتَهُ لِمَكْرُوهِ أَصَابِهِ، وَالرَّجُلُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُرَوِّعَهُمَا.

ثُمَّ - أَيْضًا - إِنْ وَرَاءَ هَذَا الرَّجُلِ أَهْلًا وَوُلْدًا مِنَ الصِّغَارِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ بَعْدَ حِينٍ: وَالصِّغَارُ يَتَضَاغُونَ - يَعْنِي يَبْكُونَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ -.

قَالَ: «فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ»، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ (١)

انْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ شَيْئًا لَا يَسْعُ لَهُمْ مَخْرَجًا مِنَ الْغَارِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فَرَجًا عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَتَى بِمَنْقَبَةٍ عَظِيمَةٍ، وَبِحَسَنَةٍ جَلِيلَةٍ، فَفَرِّجْ عَنْهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ بِمِقْدَارِ الثُّلُثِ، حَتَّى فَكَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَسْرَهُمْ، وَأَطْلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَيْدَهُمْ.

الآن قَسْ نَفْسِكَ عَلَى حَالِ هَذَا الرَّجُلِ، هَذَا رَجُلٌ يَأْتِي إِلَى أَبِيهِ بِاللَّبَنِ عَشِيًّا، فَيَجِدُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَمَا عَلَيْهِ - حِينَئِذٍ - أَنْ يَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِمَا، وَأَنْ يَأْتِيَ الصِّغَارَ مِنْ وُلْدِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَفَطَّرُ الْكَبِدُ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَيَنْصَدِعُ الْفُوَادُ رَحْمَةً بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَضَاغُونَ - كَمَا قَالَ - عِنْدَ رِجْلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ!!

(١) أخرجه البخاري: (٤ / ٤٤٩ - ٤٥٠، رقم ٢٢٧٢)، ومسلم: (٤ / ٢١٠٠، رقم

٢٧٤٣)، من حديث: عِدِّ اللَّهُ بِنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:

«انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَيْبِتَ إِلَى غَارٍ، ...».

وَأَمَّا هُوَ فَوَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ أَبِيهِ النَّائِمِينَ، يَحْمِلُ اللَّبْنَ عَلَى يَدَيْهِ، وَإِنَّ يَدَهُ لَتَكِلُّ -تَصَوُّرًا- أَنْ تَحْمِلَ مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فَقَدَّمَ اللَّبْنَ إِلَيْهِمَا لَمَّا اسْتَيْقَظَا، وَلَمْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِمَا مَالًا وَلَا وَلَدًا.

وَالآنَ قَسْ حَالِكَ عَلَى حَالِ هَذَا الرَّجُلِ الطَّائِعِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَحَالِ الْكَرْبِ عِنْدَكَ -عَافَاكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَإِيَّايَ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ- وَحَالِ الْكَرْبِ عِنْدَهُ عِنْدَمَا تَقَعُ فِي أَمْرٍ تَكْرَهُهُ، ثُمَّ تَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَعِنْدَكَ مِثْلُ هَذَا الْبِرِّ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ عِنْدَكَ تَقْدِيمُ الزَّوْجَةِ عَلَى الْأُمِّ، بَلْ تَقْدِيمُ مَا هُوَ أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ مِنَ الصَّاحِبِ وَالرَّفِيقِ عَلَى الْأَبِ وَالْأُمِّ جَمِيعًا؟! (*).

نَبِينَا ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؛

أَنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ: «خَيْرُ التَّابِعِينَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؛ كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَكَانَ بِهَا بَرًّا، كَانَ بِهِ بَرَصٌ؛ فَأَبْرَأَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دَرْهَمٍ. مَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَأْمُرْهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ».

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (٢) مِنْ طَرِيقِ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ. الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْجُمُعَةَ ١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢١ هـ الْمُوَافِقَ ٥ / ٥ / ٢٠٠٠ م

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (٤ / ١٩٦٨ - ١٩٦٩، رَقْمٌ ٢٥٤٢)، مِنْ حَدِيثِ: أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ:

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ ...

الْحَدِيثُ.

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي عنه أَنَّهُ أَخْبَرَ بِهَذَا الْحَدِيثِ: تَأْتِيكُمْ أَزْوَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ تَرُودُ الْمُجَاهِدِينَ فِي الثُّغُورِ بِالرِّجَالِ. وَمُقَاتِلَةُ الْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ الْمُقَاتِلَةِ مِنْ خَيْرِ الرِّجَالِ فَالْإِيْمَانُ يَمَانٌ، وَلَوْ كَانَ الْإِيْمَانُ فِي السَّمَاءِ الْأَعْلَى لَنَالَهُ قَوْمٌ مِنَ الْيَمَنِ.

فَكَانُوا يَأْتُونَ أَزْوَادًا لِلْمُرَابِطِينَ الْمُجَاهِدِينَ فِي الثُّغُورِ لِحِمَايَةِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ وَأَرْضِهِ وَأَهْلِهِ؛ فَيَمُرُّونَ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ ص.

يَأْتِيكُمْ فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؛ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَأَبْرَأَهُ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، وَفِي بَعْضِ الطُّرُقِ وَعِنْدَ بَعْضِ الشُّرَاحِ أَنَّ أُوَيْسًا دَعَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُبْرِئَهُ مِنَ الْبَرَصِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ، وَأَنْ يَسْتَنْبِي مَوْضِعَ دِرْهَمٍ فِي جَسَدِهِ وَجِلْدِهِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ؛ لِكَيْ يَتَذَكَّرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ الَّذِي دَعَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ أَنْ يَتَّبِقَى مِنْ بَرَصِهِ بِجِلْدِهِ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؛ لِكَيْ يَتَذَكَّرَ مُتَمَلِّيًا نِعْمَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ؛ إِذْ أَذْهَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ مَا يَقْدَرُهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ؛ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ.

يَأْتِيكُمْ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله لِمَنْ حَضَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي عنهم وَيُخْبِرُنَا عَنْ ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رضي عنه كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَكَانَ بِهَا بَارًّا، وَعَلَيْهَا حَدَبًا، كَانَ لَا يُؤَخِّرُ لَهَا طَلَبًا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ أَوْ لِرَسُولِ اللَّهِ ص.

فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَأْمُرْهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ.

وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ الْآنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رضي عنه وَهُوَ وَزِيرُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله الثَّانِي جَاءَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَذَهَبَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

وَابْنَتُهُ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله

نَزَلَ الْقُرْآنُ مُوَاطِئًا لِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَعُمَرُ إِذَا يَسْلُكُ فَجًّا سَلَكَ الشَّيْطَانَ فَجًّا غَيْرَهُ؛ عُمَرُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضْرَبُ بِعَدْلِهِ الْمَثَلُ، وَهُوَ مُبَشِّرٌ بِالشَّهَادَةِ وَالْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَهُ الْآنَ وَهُوَ يَبْحَثُ إِذَا مَا جَاءَتْ أَرْوَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ خَيْرِ التَّابِعِينَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ.

أَأَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَمِنْ مُرَادٍ ثَمَّ مِنْ قَرْنٍ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: وَلَكَ أُمَّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

وَكَانَ بِكَ بَرَصٌ؛ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَاسْتَغْفِرْ لِي.

فَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ بَارًّا بِأُمَّهِ؛ فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ (١) عَنْ أُمِّنا أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ فِي الرَّؤْيَا أَنِّي كُنْتُ فِي الْجَنَّةِ؛ فَسَمِعْتُ
رَجُلًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: هُوَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ: كَذَاكَ الْبِرُّ كَذَاكَ الْبِرُّ.

وَكَانَ بَارًا بِأُمَّه؛ فَأَرِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَسَمِعَ تِلَاوَتَهُ لَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
إِلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَرِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الرَّؤْيَا وَسَمِعَ تِلَاوَتَهُ فِي الْجَنَّةِ؛ بِيَرِهِ بِأُمَّه، وَكَانَ أَبْرَ
النَّاسِ بِأُمَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (*)



(١) «مسند الإمام أحمد»: ٦ / ١٥١ - ١٥٢ و ١٦٦ - ١٦٧، بلفظ: «نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي
الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِيٍّ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟...» الحديث، وفي رواية: ٦ / ٣٦،
بلفظ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً...».

والحديث صححه الألباني في «الصحيححة»: ٢ / ٥٨٢، رقم (٩١٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقِ

الْبِرُّ بِالْأُمِّ:

وَأَوْلُهُمَا حَقُّ الْأُمِّ:

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ سُئِلَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ؛ فَأَجَابَ ﷺ بِتَرْتِيبٍ وَاضِحٍ لَا لُبْسَ فِيهِ وَلَا غُمُوضَ.

فَإِنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟
قَالَ: أُمُّكَ.

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: أُمُّكَ.

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: أُمُّكَ.

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: أَبُوكَ (١).

(١) أخرجه البخاري: (١٠ / ٤٠١، رقم ٥٩٧١)، ومسلم: (٤ / ١٩٧٤، رقم ٢٥٤٨)، من

حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ الْأُمُّ؛ وَكَرَّرَ ذَلِكَ ﷺ مِرَارًا، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَبَ بَعْدُ.

وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ ذَلِكَ لِأَنَّ مَا آدَتُهُ لَا يَكُونُ مَنْظُورًا مِمَّا وَجَدْتُهُ مِنْ أَلْمِ الْحَمْلِ وَالْوَضْعِ وَمَا كَانَ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالرَّعَايَةِ فِي الصَّغْرِ.

فَكُلُّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُهُ الْمَرْءُ إِذَا عَلَتْ بِهِ السُّنُونُ، وَإِنَّمَا يَرَى الرَّعَايَةَ مِنْ أَبِيهِ قَائِمَةً، وَيَرَى الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِ سَارِيًّا؛ فَقَدْ يُفَرِّطُ فِي حَقِّ الْأُمِّ حِينَئِذٍ؛ فَدَلَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ.

وَشَيْءٌ آخَرُ، وَهِيَ أَنَّهَا ضَعِيفَةٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْفَعَ عَنِ نَفْسِهَا، وَلَقَدْ يَكْفُرُ الرَّجُلُ عَنْ أَبِيهِ خَوْفًا مِنْ قُوَّتِهِ وَتَوْفِيًّا لِبَطْشِهِ، وَأَمَّ الْأُمُّ فَلِضَعْفِهَا، وَلِأَنُوثَتِهَا، وَلِرِقَّتِهَا؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ مَا ضَابِطٍ يَضْبُطُهُ وَلَا كَافٍ يَكْفُهُ؛ فَنبهَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ.

وَشَيْءٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَسْتَحْيِي مِنْ عُقُوقِ أَبِيهِ بِمَحْضَرٍ مِنَ النَّاسِ خَوْفَ الْمَلَامَةِ مِنْهُمْ وَحَيَاءً مِنْ مُوَاقَعَةِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَسْتَفْظِعُهُ النُّفُوسُ السَّوِيَّةُ، وَلَا تَقْبَلُهُ الْأَرْوَاحُ الْمُسْتَقِيمَةُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْأُمُّ فِي سِتْرِ تَحْفُفِهَا جُدْرَانِهَا وَيُمْكِنُ أَنْ يَعْقَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ، وَلَا أَنْ يَلُومَهُ؛ نَبَهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ.

وَشَيْءٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَمَّا كَانَتْ ضَعِيفَةً، وَكَانَتْ لِأَنُوثَتِهَا رَقِيقَةً، وَقَدْ تَكُونُ سَرِيعَةَ الْغَضَبِ فَإِذَا مَا عَقَّهَا لَمْ تَتَمَّاسَكَ وَلَمْ تَتَجَلَّدْ وَأَسْرَعَتْ فِي الدُّعَاءِ عَلَى ابْنِهَا الَّذِي عَقَّهَا أَوْ أَسَاءَ إِلَيْهَا.

فَرَاعَى النَّبِيَّ ﷺ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ، وَأَمَرَ الْوَلَدَ بِأَنْ يُحْسِنَ صُحْبَتَهَا مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً؛
حَتَّى لَا يُلْجِئَهَا إِلَى الدُّعَاءِ عَلَيْهِ؛ فَتُصَادِفُ بِقَدْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَتًا يَسْتَجِيبُ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ دُعَاءَ مَنْ دَعَاهُ، وَيَكُونُ قَدْ ظَلَمَهَا وَأَسَاءَ إِلَيْهَا؛ فَيُسْتَجَابُ لَهَا فِيهِ،
وَحِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُهُ نَدْمٌ وَلَا يَكْفُ عَنْهُ مَا أَصَابَ شَيْءٌ مِنْ حَوْلٍ وَلَا حِيلَةٍ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. (*)

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ آتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً
فَأَبْتُ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَعَرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ
لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟

قَالَ: «أُمِّكَ حَيَّةٌ؟»

قَالَ: لَا.

قَالَ: «تُبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ

قَالَ: فَذَهَبْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ» (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُفُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقِ

٢٢/١/٢٠١٠م

(٢) «الأدب المفرد» للبخاري: (ص ١٢، رقم ٤)، وأخرجه أيضا اللالكائي في «شرح

أصول الاعتقاد»: (٦/ ١١٢٤، رقم ١٩٥٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٠/

٣٠٥، رقم ٧٥٣٥)، من طريق: عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ،
صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ، وَكَمَا فِي «السَّلْسِلَةِ
الصَّحِيحَةِ».

قَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً؛ أَي: دَعَوْتُهَا إِلَى الزَّوْاجِ.

فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي أَي: لَمْ تَقْبَلِ الْخِطْبَةَ وَأَنْكَرَتْ.

وَخَطَبَهَا غَيْرِي فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَعَرْتُ أَي: كَرِهْتُ مُشَارَكَةَ الْغَيْرِ فِيمَنْ
أَحْبَبْتُهَا، وَالْغَيْرَةُ هِيَ الْأَنْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَفِيهِ بَيَانُ خُطُورَةِ الْغَيْرَةِ؛ فَقَدْ آدَّتْ إِلَى
الْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

فَعَرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ خَطَبَ امْرَأَةً فَلَمْ تَقْبَلْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا
غَيْرُهُ فَقَبِلَتْهُ، فَغَارَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ: فِيهِ عَدَمُ الْيَأْسِ مِنَ التَّوْبَةِ مَهْمَا
كَانَ الذَّنْبُ.

أَنَّهُ آتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحْبَبْتُ أَنْ
تَنْكِحَهُ، فَعَرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «أُمُّكَ حَيَّةٌ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «تُبُّ
إِلَى اللَّهِ ﷻ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ».

قَالَ عَطَاءٌ: فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا
أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَوْ كَانَ حَيِّينِ أَبَوَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا رَجَوْتُ لَهُ؛ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحَطَّ لِلذُّنُوبِ مِنْ
بَرِّ الْوَالِدَيْنِ».

والأثر صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»: (ص ٣٤، رقم ٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِلرَّجُلِ الْقَاتِلِ: «أُمَّكَ حَيَّةٌ؟».

فَأَجَابَ: لَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ
 قَالَ: أُمَّكَ حَيَّةٌ: بِحَذْفِ آدَاةِ الْإِسْتِفْهَامِ؛ أَي: هَلْ أُمَّكَ حَيَّةٌ حَتَّى تَتَقَرَّبَ
 إِلَى اللَّهِ بِبِرِّهَا؟ أَوْ: أُمَّكَ حَيَّةٌ؟

فَذَهَبَتْ: الذَّاهِبُ هُنَا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ الرَّاوي لِهَذَا الْأَثَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟ أَي: لِمَ سَأَلْتَ الرَّجُلَ الْقَاتِلَ
 عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟

وَهَذِهِ شِدَّةُ انْتِبَاهٍ مِنْ عَطَاءٍ لِسُؤَالِ السَّائِلِ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ
 حَيَاةِ أُمِّهِ؟

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ

فِي الْحَدِيثِ: إِنَّ بَرَّ الْأُمِّ يَقْرُبُ الْإِنْسَانَ الْعَاصِيَ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- أَكْثَرَ مِنَ
 الطَّاعَاتِ الْأُخْرَى، حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى
 اللَّهِ ﷻ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ، فَنَصَحَ الْقَاتِلَ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي بَرِّ أُمِّهِ؛ لِكَيْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا
 أَسْلَفَ مِنْ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ.

وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لِلْمُذْنِبِ إِذَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ مِنَ الذُّنُوبِ
 وَهُوَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ وَرَغْبٍ فِي التَّوْبَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ إِذَا تَوَفَّرَتْ شُرُوطُهَا
 الَّتِي هِيَ: تَرْكُ الذَّنْبِ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعُودِ إِلَيْهِ، وَالنَّدَمُ عَلَى فِعْلِهِ، فَإِنَّ تَوْبَتَهُ
 تُقْبَلُ مَهْمَا كَانَ جُرْمُهُ.

فَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِذَا وَقَعَ الْمُسْلِمُ فِي الشِّرْكِ أَوْ ارْتَدَّ عَنْ إِسْلَامِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَتُوبَ، فَإِنَّهُ يُرْشَدُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَلَا يُحْجَبُ عَنِ التَّوْبَةِ مُذْنِبٌ صَادِقٌ فِي تَوْبَتِهِ. (*)

بِرُّ الْأُمِّ حَتَّى لَوْ كَانَتْ كَافِرَةً:

وَلَيْكِنِ الْبِرُّ مَوْصُولًا لِلْوَالِدَيْنِ حَتَّى لَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ:

الْأُمُّ حَتَّى لَوْ كَانَتْ كَافِرَةً؛ فَإِنَّهُ يَبْرُهَا بَرًّا لَا يُؤْتِرُ فِي الدِّينِ، وَلَكِنِ،

﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا

فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]. (*) (٢/).

(وَإِنْ اسْتَدَّ عَلَيْكَ بِالطَّلِبِ أَيُّهَا الْإِبْنُ الْمُؤْمِنُ مُكْرِهِينَ لَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي شِرْكًَا مَا، لَا تَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، فَلَا تَسْتَجِبْ لَهُمَا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَوَافِقُهُمَا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا مُصَاحِبَةً حَسَنَةً، وَقَدِّمْ لَهُمَا مَعْرُوفًا كَمَالَ وَتَكْرِيمًا وَخِدْمَةً). (*) (٣/).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) الْجُزْءِ الْأَوَّلِ: بَابُ: بِرِّ الْأُمِّ ص ١٤٥ وَمِنْ

ص ١٤٧ إِلَى ص ١٥٠

(*) (٢/) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ

٢٢/١/٢٠١٠ م

(*) (٣/) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةُ لُقْمَانَ ٢٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ

١٤٣٧ هـ الْمُوَافِقَ ١٠/١١/٢٠١٥ م

وَقَدْ جَاءَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بَاكِئًا؛ كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَتْ أُمُّهُ رضي الله عنها تَسُبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم سَبًّا قَبِيحًا، وَتَسُبُّ الْإِسْلَامَ؛

فَجَاءَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَدْ فَعَلَتْ يَوْمًا، إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بَاكِئًا، جَاءَ بَاكِئًا؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ».

فَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ وَالْبَابُ مُجَافٍ يَسْمَعُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ مِنْ دَاخِلٍ؛ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ أَبَا هُرَيْرَةَ. أَيُّ لَا تَدْخُلُ؛ كَانَتْ تَغْتَسِلُ غُسْلَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ.

يَسْمَعُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ.

قَالَ: ثُمَّ جَعَلَتْ عَلَيْهَا دِرْعَهَا، وَأَعَجَلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَخَرَجَتْ تَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَرَجَعَ بَاكِئًا.

جَاءَ قَبْلُ بَاكِئًا وَرَجَعَ الْآنَ بَاكِئًا، وَلَكِنَّهُ الْآنَ يَبْكِي فَرَحًا؛ فَقَالَ: أَبَشِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ فَادْعُ اللَّهَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنْ يُحِبِّبَهُمَا إِلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: فَلَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ بَعْدُ وَلَا بِأُمِّي وَكَانَ مُؤْمِنًا إِلَّا أَحَبَّنَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي أَحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَحِبُّ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١)
 لَا يُحِبُّهُمَا إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسَعُ مُؤْمِنًا يَكُونُ فِي قَيْدِ الْإِيمَانِ وَلَا فِي رَبْقَتِهِ
 يَسْمَعُ بِهِمَا إِلَّا أَحَبَّهُمَا كَمَا دَعَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. (*)

بِرُّ الْأُمِّ بَعْدَ مَوْتِهَا:

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَحُضُّ وَيَحُثُّ عَلَى الْبِرِّ حَتَّى بَعْدَ الْمَمَاتِ.
 جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أُمَّي قَدْ افْتَلَتَتْ رُوحَهَا؛ أَفَأَتَصَدَّقُ
 عَنْهَا؟

فَقَالَ: «نَعَمْ» (٣).

تَصَدَّقْ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا بِرًّا بِهَا وَرِعَايَةً لِحَقِّهَا. (*) (٢).



(١) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٣٨ - ١٩٣٩، رقم ٢٤٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ
 ٢٢/١/٢٠١٠ م

(٣) أخرجه البخاري: (٣/ ٢٥٤، رقم ١٣٨٨) و(٥/ ٣٨٨-٣٨٩، رقم ٢٧٦٠)، ومسلم:
 (٣/ ١٢٥٤، رقم ١٠٠٤).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ
 ٢٢/١/٢٠١٠ م

بِرُّ الْأَبِ:

وَأَمَّا بِرُّ الْأَبِ:

النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ أَوْسَطَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الْوَالِدُ؛ فَقَالَ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَخُذْ أَوْ فَدَعْ»؛ يَعْنِي إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ مِنْ أَوْسَطِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَذُنُوكَ بِرَّ أَبِيكَ؛ فَإِنَّ أَبَاكَ هُوَ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١). (*)

(١) أخرجه الترمذي: (٤ / ٣١١، رقم ١٩٠٠)، وابن ماجه: (١ / ٦٧٥، رقم ٢٠٨٩)، وابن حبان في «الصحيح»: (٢ / ١٦٧، رقم ٤٢٥) واللفظ له، من حديث: أَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّ رَجُلًا أَنَاهُ، فَقَالَ: إِنْ أَبِي لَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى تَزَوَّجْتُ، وَإِنَّهُ الْآنَ يَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْرُكَ أَنْ تَعُقَّ وَالِدَكَ، وَلَا أَنَا بِالَّذِي أَمْرُكَ أَنْ تُطَلِّقَ امْرَأَتَكَ، غَيْرَ أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ، حَدَّثْتِكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَحَافِظْ عَلَيَّ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعْ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢ / ٦٥٠ - ٦٥١، رقم ٢٤٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُفُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقِ

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» (١) حَسَنٌ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ

الرِّضَا: تَرْكُ الْمُخَالَفَةِ، وَالتَّوَافُقُ بِأَمْرٍ مَنْ يَرْضَى عَنْهُ وَبِرَأْيِهِ، وَأَعْلَى الرِّضَا: أَلَّا يَخْطُرَ فِي قَلْبِهِ خِلَافُ رِضَاهُ، فَيَحْصُلُ بِمُوَافَقَةِ الْمَرْضِيِّ عَنْهُ

السَّخَطُ: هُوَ الْكَرَاهِيَةُ لِلشَّيْءِ، وَعَدَمُ الرِّضَا بِهِ،

سَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ: مَا لَمْ يَكُنْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى

فَإِذَا سَخَطَ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِمَعْصِيَةٍ فَلَمْ يُطِعْهُ، فَهَذَا غَيْرُ دَاخِلٍ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي مَرَضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا فِي مَسَاخِطِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ:

وَجُوبُ إِرْضَاءِ الْوَالِدِ لِلْوَالِدِ وَتَحْرِيمُ إِسْخَاطِهِ

وَفِي الْحَدِيثِ: دَلَالَةُ عَظِيمَةٍ عَلَى عَظِيمٍ حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَمَهُمَا

مَرَّ بِنَا فِي مِثْلِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» فَكَذَا حُكْمُ الْوَالِدَةِ بَلْ هُوَ أَوْلَى فَحُكْمُ الْوَالِدَةِ ثَابِتٌ بَلْ هُوَ أَوْلَى. (*)

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: (٣/ ٤٦٤ - ٤٦٥، رقم ١٨٩٩).

وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»: (١/ ٦٥٨، رقم ٣٥٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) الْجُزْءِ الْأَوَّلِ: بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) ص ١٣٧-١٣٩

بَعْضُ الْأَدَابِ مَعَ الْوَالِدِ:

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ وَهُوَ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه رَأَى رَجُلَيْنِ يَمْشِيَانِ مَعًا؛ فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَنْ هَذَا مِنْكَ؟
قَالَ: أَبِي.

فَقَالَ: لَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلَا تُخَاطِبُهُ بِاسْمِهِ ^(١).

لَا تَمْشِ أَمَامَ أَبِيكَ؛ عَيْبٌ؛ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ؛ لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ؛ قَالَ: لَا تَمْشِ أَمَامَهُ، لَا تُخَاطِبُهُ بِاسْمِهِ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَإِنَّمَا تَجْلِسُ بَعْدَهُ، وَتَمْشِي خَلْفَهُ، وَلَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُكْنِيًّا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ عَنِ أَبِيهِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ عَنْهُ: أَبُو حَفْصٍ رضي الله عنه.

بِرْعَايَةِ هَذِهِ الْأُمُورِ تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ.

إِنَّ الْحَيَاةَ فِي فَسَادِهَا إِنَّمَا فَسَدَتْ فَسَادَهَا بِتَضْيِيعِ الْحُقُوقِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَحْرِضُونَ عَلَى تَحْصِيلِ حُقُوقِهِمْ، وَتَضْيِيعِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

النَّاسُ يَحْرِضُونَ عَلَى تَحْصِيلِ حُقُوقِهِمْ، وَيُضَيِّعُونَ وَاجِبَاتِهِمْ؛ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْجَبَ أُمُورًا وَحَدَّ حُدُودًا، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَقِّفًا، وَأَلَّا يَتَجَاوَزَ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تَجَاوَزَ؛ فَلَعَلَّ أَحَدَ الْمَظْلُومِينَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ عَلَيْهِ؛ فَإِذَا مَا اسْتُجِيبَ لَهُ فِيهِ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٢٢، رقم ٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٠ / ٢٩٢، رقم ٧٥١١)، وابن الجوزي في «البر والصلة»: (ص ٥٨، رقم ٢٦ و ٢٧) واللفظ له.

والأثر صحح إسناده الألباني في «صحيح الأدب المفرد»: (ص ٤٦، رقم ٣٢).

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبِرَّ مُفْضِيًّا إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ «إِنَّ
الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» (١)

فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ آتِيًّا بِالْبِرِّ، وَإِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ بَعْدَ تَوْحِيدِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا
وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَكُونَ مُطِيعًا لِأَبَوَيْهِ.

فَإِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِمِثْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْكِي عَنْهُ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: كَانَ تَحْتِي
امْرَأَةً، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ عُمَرَ أَصْدَقُ فِرَاسَةً مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَلَدِهِ؛ فَإِذَا لَمْ يُشَاكِلْ طَبْعَهُ
طَبَعَهَا، وَإِذَا مَا نَفَرَ مِنْهَا وَهُوَ لَمْ يَظْلِمَهَا؛ فَلَا شَكَّ أَنْ فِرَاقَهَا مِمَّا يَسُرُّ.

قَالَ: فَأَمَرَنِي أَنْ أُطَلِّقَهَا؛ فَلَمْ أَفْعَلْ.

فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «طَلِّقْهَا»؛ فَفَعَلْتُ (٢).

عُمَرُ يَكْرَهُهَا، وَلَكِنْ مَنْ لَكَ بِمِثْلِ عُمَرَ؟! (*).

(١) «صحيح البخاري»: (١٠ / ٥٠٧، رقم ٦٠٩٤)، و «صحيح مسلم»: (٤ / ٢٠١٢ -
٢٠١٣، رقم ٢٦٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود: (٤ / ٣٣٥، رقم ٥١٣٨)، والترمذي: (٣ / ٤٨٦-٤٨٧، رقم ١١٨٩)،
وابن ماجه: (١ / ٦٧٥، رقم ٢٠٨٨)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث حسنه الألباني في «الصحيحه»: (٢ / ٥٨٩، رقم ٩١٩).
(* ما مرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقِ

أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ:

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ^(١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»

وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ مَاجَهَ إِذَا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو أَبَاهُ: «إِنَّ أَبِي اجْتَاكَ مَالِي»، وَهِيَ هَكَذَا صَحِيحَةٌ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَعِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي اجْتَاكَ مَالِي، هَكَذَا الْعَرَبِيَّةُ فِي جَلَالِهَا وَعَبْقَرِيَّتِهَا، جَاءَ بِهَذَا اللَّفْظِ (اجْتَاكَ) فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ غَيْرَ مُلَبِّثٍ وَلَا مُتْرِيثٍ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»

دَعْنَا مِنَ الْعُرْضِ الَّذِي جِئْتَ مِنْهُ تَشْكُو، وَدَعْنَا مِنَ الْمَالِ الَّذِي جِئْتَ مِنْهُ اسْتِغْلَابِهِ، تَنْنُ وَتَبْكِي، لَا، بَلْ أَنْتَ.. أَنْتَ، فِي ذَاكَ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»

وَأَنْتَ قَبْلَ مَالِكَ لِأَبِيكَ لَيْسَ لَكَ شَيْءٌ، إِنَّ أَمْرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَاخْرُجْ لَهُ، وَهِيَ الرَّوَايَةُ الَّتِي رَوَاهَا الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ وَهِيَ حَسَنَةٌ «إِنَّ أَمْرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ»^(٢) هَكَذَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ «مِنْ دُنْيَاكَ» يَعْنِي صِرْتَ لَا

(١) أخرجه ابن ماجه: (٢ / ٧٦٩، رقم ٢٢٩١)، من حديث: جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا، وَإِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاكَ مَالِي، فَقَالَ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ».

والحديث صححه الألباني في «إرواء الغليل»: (٣ / ٣٢٣ - ٣٣٠، رقم ٨٣٨)، وروي عن عبد الله بن عمرو وابن مسعود وعائشة وسمرة بن جندب وابن عمر وأبي بكر الصديق وأنس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، بنحوه.
(٢) «الأدب المفرد» للبخاري: (ص ١٥، رقم ١٨)، وأخرجه أيضا ابن ماجه في «السنن»: (٢ / ١١١٩ و ١٣٣٩، رقم ٣٣٧١ و ٤٠٣٤).

تَمْلِكُ شَيْئًا، صِرْتَ فِي الدُّنْيَا كَمَا وَلَدْتِكَ أُمَّكَ، كَمَا أَسْلَمَكَ لِلْحَيَاةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، إِنْ أَرَادَكَ أَنْ تَكُونَ فِيهَا كَمَا أَسْلَمَاكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحُودَ شَيْئًا وَلَا تَمْلِكُهُ فَكُنْ، إِلَى ذَلِكَ أَرْشَدَ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَبِذَلِكَ أَمَرَ. (*)

بِرُّ الْأَبِ بَعْدَ الْمَمَاتِ:

وَالرَّسُولُ ﷺ يَحُضُّ عَلَى الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ حَتَّى بَعْدَ مَمَاتِهِمَا، وَكَيْفَ لَا؟!

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «وَأَبْرَ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» (٢) (٣).

فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَلْقَى الرَّجُلَ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَابْنُ عُمَرَ عَلَى حِمَارٍ لَهُ يَنْزِلُ عَنْهُ يُرْكَبُهُ؛ يَحْبُوهُ يُعْطِيهِ حَتَّى لَرُبَّمَا خَلَعَ عَلَيْهِ عِمَامَتَهُ؛ فَيَقُولُ الْقَائِلُ لِابْنِ عُمَرَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَرْضَى بِدُونِ ذَلِكَ».

يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ وَادًّا لِعُمَرَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ أَبْرَ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ».



والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١ / ٣٦٧، رقم

٥٦٧)، وروي عن معاذ وأم أيمن ﷺ، مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ (مِنْ أَيْنِ نَوْتِي)، مِنْ كِتَابِ (مَجْمُوعَةِ رَسَائِلِ) - وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ

تَبْيِضِهَا لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ ٨ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٥ هـ الْمُوَافِقَ ٢٠ / ١٢ / ٢٠٠٤ م

(٢) «أَهْلُ وَدِّ أَبِيهِ»، أَي: أَصْحَابُ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (٤ / ١٩٧٩، رقم ٢٥٥٢)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ ﷺ.

جَزَاءُ الْوَالِدَيْنِ:

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ لَا يَجْزِي وُلْدٌ وَالِدَهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيُعْتِقَهُ
فِيْشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ^(١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِذَا مَا اشْتَرَاهُ صَارَ عَتِيقًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ حَتَّى يَجِدَهُ مَمْلُوكًا لَوْلَدِهِ
بِحَالٍ أَبَدًا؛ فَشَرَاءُهُ عِتْقُهُ.

وَلَكِنْ دَلَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ بِهَذَا التَّرْتِيبِ رِعَايَةً لِحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى
وَلَدِهِ؛ لَا يَجْزِيهِ مَا لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا يُكَافِئُهُ بِهِ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ
فَيُعْتِقَهُ. (*)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْزِي وُلْدٌ عَنْ وَالِدِهِ إِلَّا أَنْ
يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»

وَفِي الْحَدِيثِ: عِظْمُ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ

(١) أخرجه مسلم: (٢/ ١١٤٢، رقم ١٥١٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقِ

شِرَاءُ الْوَالِدِ وَاجِبٌ عَلَى الْوَلَدِ الْمُسْتَطِيعِ حَتَّى يُعْتَقَ، وَالْوَلَدُ لَا يُؤَدِّي حَقَّ
وَالِدِهِ الْمَمْلُوكِ إِلَّا أَنْ يُعْتِقَهُ بِشِرَائِهِ

الْعِتْقُ يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ الْمَلِكِ لِلْأَقَارِبِ. (*)

وَأَمَّا الْأُمُّ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ، وَهُوَ فِي صَحِيحِهِ. (* / ٢).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ، وَرَجُلٌ
يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَمَلٌ أُمُّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ يَقُولُ:

«إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَلَّلُ إِنَّ أَدْعَرْتَ رِكَابَهَا لَمْ أَدْعُرْ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، أَتُرَانِي جَزَيْتَهَا؟

قَالَ: لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ طَافَ ابْنُ عُمَرَ فَاتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَبِي مُوسَى، إِنَّ
كُلَّ رَكَعَتَيْنِ تَكْفُرَانِ مَا أَمَامَهُمَا» (٣)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ) الْجُزْءِ الْأَوَّلِ: بَابُ: جَزَاءِ الْوَالِدَيْنِ

ص ١٧٣ - و ص ١٧٥

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ

٢٢ / ١ / ٢٠١٠ م

(٣) أَخْرَجَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ حَرْبٍ فِي «الْبِرِّ وَالصَّلَةِ»: (ص ١٩، رَقْم ٣٧ و ٣٨)، وَبِالْبُخَارِيِّ فِي

«الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»: (ص ١٣، رَقْم ١١)، وَالْفَاكِهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ»: (١ / ٣١٢، رَقْم

٦٤٢ و ٦٤٣)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» ضَمَّنَ مُوسِعَتَهُ الْحَدِيثِيَّةَ: (٦ /

١٢٨ - ١٢٩ و ١٣٣، رَقْم ٢٣٢ و ٢٤٣)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ:

إِنْ أذَعِرْتَ: الذُّعْرُ: الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ.

إِنْ أذَعِرْتَ رِكَابَهَا؛ أَي: إِنْ نَفَرْتَ دَابَّتْهَا الَّتِي تَرَكِبُهَا لَمْ أذَعِرْ.

بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْتٌ آخَرُهُ هُوَ:

حَمَلْتُهَا أَكْثَرَ مِمَّا حَمَلْتُ فَهَلْ تَرَى جَازِيَتَهَا يَا بْنَ عُمَرَ

قَوْلُهُ: لَمْ أذَعِرْ كِنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ الطَّاعَةِ وَالْحِرْصِ عَلَى الْبِرِّ مَعَ عَدَمِ التَّأَفُّفِ
وَالْتَّضَجُّرِ مِنْ خِدْمَتِهَا.

قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، أَتَرَانِي جَزَيْتُهَا؟؛ يَعْنِي: بِهَذَا الْبِرِّ الْعَظِيمِ، وَهُوَ يَحْمِلُهَا
عَلَى ظَهْرِهِ وَيَطُوفُ بِهَا.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ الزَّفْرَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ الزَّفِيرِ، وَهُوَ تَرَدُّدُ
النَّفْسِ حَتَّى تَخْتَلِفَ الْأَضْلَاعُ، وَهَذَا يَعْرِضُ لِلْمَرَّةِ عِنْدَ الْوَضْعِ وَالْوِلَادَةِ.

قَوْلُهُ: كُلُّ رَكَعَتَيْنِ تُكْفِّرَانِ مَا أَمَامَهُمَا؛ أَي: مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: الْحَثُّ عَلَى خِدْمَةِ الْأُمِّ مَهْمَا بَلَغَتِ الْمَشَقَّةَ،
وَعِظْمُ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَوْلَادِ

كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَرَأَى رَجُلًا يَطُوفُ حَامِلًا أُمَّهُ، وَهُوَ يَقُولُ:
إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَّلُّ... إِنْ ذَعِرْتَ رِكَابَهَا لَمْ أذَعِرْ
أَحْمِلُهَا وَمَا حَمَلْتَنِي أَكْثَرَ، أَوْ قَالَ: أَطُولُ...

والأثر صحيح إسناداه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»: (ص ٣٦، رقم ٩).

وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّ الْوَالِدَ مَهْمَا أَسَدَى مِنْ مَعْرُوفٍ وَقَدَّمَ مِنْ جَمِيلٍ لَوَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدُهُمَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوفِّيَ حَقَّهُمَا وَلَكِنَّ الْأَمَرَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«سَدُّوْا وَقَارِبُوْا وَأَبْشِرُوْا» (١). (*)

وَفِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ: إِنِّي قَدْ حَمَلْتُهَا أَطْوَلَ مِمَّا حَمَلْتَنِي؛ يَحْمِلُهَا عَلَيَّ ظَهْرَهُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَرْكُوبٍ سِوَاهُ، وَيَطُوفُ بِهَا الْبَيْتَ وَهِيَ عَلَيَّ ظَهْرَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهَا -، يَطُوفُ بِهَا الْبَيْتَ؛ فَقَالَ: أَتَرَى قَدْ وَفَّيْتَهَا حَقَّهَا يَا ابْنَ عُمَرَ؟

قَالَ: وَلَا بَزْفَرَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَاعْدُدْ زَفَرَاتٍ!!

وَيَحَاكَ!!

لَوْ حَمَلْتُهَا أَكْثَرَ مِمَّا حَمَلْتِكَ مَا أَتَيْتَ بِشَيْءٍ كُنْتَ قِطْعَةً مِنْ لَحْمٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُخْنَقَ؛ يُمَكِّنُ أَنْ تُسْحَقَ؛ يُمَكِّنُ أَنْ تُضَيَّعَ حَتَّى تَصِيرَ صُغْلُوكًا مُضَيَّعًا فِي الْحَيَاةِ؛ فَقَامَا عَلَيْكَ فَرَعِيَاكَ، وَكَوَلَاكَ، وَحَرَمَا نَفْسَيْهِمَا وَأَعْطِيَاكَ؛ فَلَمْ يَجِدَا بَعْدُ إِلَّا الْجَحْدَ؛ وَإِنَّهُ لَخُلِقَ سَيِّئًا، وَلَوْ كَانَ لِأَيِّ مُعْطٍ؛ فَكَيْفَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ؟! (*) (٢).



(١) أخرجه البخاري: (١ / ٩٣، رقم ٣٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ: الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) الْجُزْءِ الْأَوَّلِ: بَابُ: جَزَاءِ الْوَالِدَيْنِ

ص ١٧٦ و ص ١٧٨-١٧٩

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَافِقَ

٢٢ / ١ / ٢٠١٠ م

عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ:

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ الَّتِي وَصَّى بِهَا مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ مُعَاذٌ: وَصَّانِي النَّبِيِّ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ: «وَلَا تَعْتَنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» (١)

إِنَّا لَفِي أَمْرٍ مَرِيحٍ، قَدْ يُوتَى الْمَرْءُ مِنْ قِبَلِ هَذَا الْمَاتِي، وَيَكُونُ حِصْنُهُ أضعفَ مَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ بِذَاتِهَا، وَيُوتَى مِنْ قِبَلِهَا، لِأَنَّهُ لَا يَرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ، وَتَأَمَّلْهَا مَلِيًّا وَاجْعَلْهَا بِإِزَاءِ قَلْبِكَ، تَأَمَّلْ مَلِيًّا «مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ» (٢)

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٥ / ٢٣٨، رقم ٢٢٠٧٥)، والمروزي في «الصلاة»: (٢ / ٨٩٠، رقم ٩٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٠ / ٨٢ - ٨٣، رقم ١٥٦)، وفي «الأوسط»: (٨ / ٥٨، رقم ٧٩٥٦)، من حديث: مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ... الحديث.

وفي رواية: «... وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَخْرَجَكَ مِنْ مَالِكَ وَكُلَّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ، ...». والحديث حسنه غيره الألباني في «إرواء الغليل»: (٧ / ٨٩ - ٩١، رقم ٢٠٢٦)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب»: (١ / ٣٦٨، رقم ٥٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: (٨ / ٢٣٤، رقم ٨٤٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٧ / ٣٣٠ - ٣٣١، رقم ٥٠٨٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ =

و«مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ»^(١)

مَلْعُونٌ أَي مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ مُبْعَدٌ عَنْهَا، وَانْظُرْ إِلَى الْمَطْرُودِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَا تُدْرِكُهُ، وَلَا تَنْزِلُ عَلَيْهِ، انْظُرْ إِلَيْهِ مَا يَصْنَعُ هَذَا الْمَلْعُونُ؟

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ»^(٢)

وَأَيُّ رَحِمٍ هِيَ أَمْسٌ مَسِيئًا وَأَعْظَمُ قَدْرًا وَأَوْفَى حُرْمَةً مِنَ الْوَالِدَيْنِ؟ وَإِنْ قُطِعَتْ هَذِهِ فَأَيُّ رَحِمٍ بَعْدَهَا تُوَصَّلُ؟

وَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالذِّيُوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أُعْطِيَ»^(٣)

قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ سَبْعَةً مِنْ خَلْقِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ...» فذكر الحديث، وفيه: «مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢ / ٦٢٢، رقم ٢٤٢٠).

(١) أخرجه مسلم: (٣ / ١٥٦٧، رقم ١٩٧٨)، من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه. وفي رواية له: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ...».

(٢) أخرجه البخاري: (١٠ / ٤١٥، رقم ٥٩٨٤)، ومسلم: (٤ / ١٩٨١ - ١٩٨٢، رقم ٢٥٥٦)، من حديث: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي: (٥ / ٨٠، رقم ٢٥٦٢)، من حديث: ابن عمر رضي الله عنهما.

والحديث حسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٢ / ٢٨٤، رقم ٦٧٤).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالذَّيُّوْتُ، الَّذِي يُقْرِئُ فِي أَهْلِهِ الْخَبْثَ» (١)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ: عَاقٌ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِقَدْرِ» (٢)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌ وَلَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدْرِ» (٣)

وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُهُ» (٤)، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» (٥)

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٦٩ و ١٢٨)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث حسنه غيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ٦٠٠ و ٦٠٢، رقم ٢٣٦٦ و ٢٥١٢).

(٢) أخرجه الطيالسي في «المسند»: (٢/ ٤٥٢، رقم ١٢٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنّة»: (١/ ١٤٢، رقم ٣٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٨/ ١١٩، رقم ٧٥٤٧)، من حديث: أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٤/ ٣٩٠-٣٩١، رقم ١٧٨٥).

(٣) أخرجه أحمد: (٦/ ٤٤١، رقم ٢٧٤٨٤)، وابن أبي عاصم في «السنّة»: (١/ ١٤١، رقم ٣٢١)، والبزار في «المسند»: (١٠/ ٤٥، رقم ٤١٠٦)، من حديث: أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحديث حسن إسناده في «الصحيحة»: (٢/ ٢٨٥، رقم ٦٧٥).

(٤) «رَغِمَ أَنْفُهُ»: دُعَاءٌ بِالذَّلِّ وَالخِزْيِ عَلَى مَنْ قَصَرَ فِي بَرِّهِمَا عِنْدَ ضَعْفِهِمَا بِالْخِدْمَةِ أَوْ النَّفَقَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَفَاتَهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ، أَوْ إِخْبَارُ بَأْنِهِ ذَلِيلٌ مَخْذُولٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٥) أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٧٨، رقم ٢٥٥١)، من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا عَبَثَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ جِدُّ كُلُّهُ لَا هَزْلَ فِيهِ بِحَالٍ

وَهَذَا هُوَ الْعَوَامُ بْنُ حَوْشَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: كَمَا أَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ وَهُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَزَلَتْ مَرَّةً حَيًّا، وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ الْحَيِّ مَقْبَرَةٌ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ انْشَقَّ فِيهَا قَبْرٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ رَأْسُهُ رَأْسُ الْحِمَارِ، وَجَسَدُهُ جَسَدُ إِنْسَانٍ، فَنَهَقَ ثَلَاثَ نَهَقَاتٍ ثُمَّ انْطَبَقَ عَلَيْهِ الْقَبْرُ، فَإِذَا عَجُوزٌ تَغْرُلُ شَعْرًا أَوْ صُوفًا، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: تَرَى تِلْكَ الْعَجُوزَ؟ قُلْتُ: مَا لَهَا؟ قَالَتْ: تِلْكَ أُمُّ هَذَا. قُلْتُ: وَمَا كَانَ قِصَّتُهُ؟ قَالَتْ:

كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، فَإِذَا رَاحَ تَقُولُ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللَّهَ إِلَيَّ مَتَى تَشْرَبُ هَذِهِ الْخَمْرَ؟! فَيَقُولُ لَهَا: إِنَّمَا أَنْتِ تَنْهَقِينَ كَمَا يَنْهَقُ الْحِمَارُ! قَالَتْ: فَمَاتَ بَعْدَ الْعَصْرِ. قَالَتْ: فَهُوَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ بَعْدَ الْعَصْرِ، كُلَّ يَوْمٍ فَيَنْهَقُ ثَلَاثَ نَهَقَاتٍ، ثُمَّ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْقَبْرُ.» (١). (*)

وقد بين النبي ﷺ أن الإنسان لا يقدم طاعة أحدٍ على طاعة والديه إلا طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» ضمن موسوعته الحديثية: (٦ / ٣٢٢، رقم ٢٢)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: (٦ / ١٢١٨ - ١٢١٩، رقم ٢١٥٧) واللفظ له، وابن الجوزي في «البر والصلة»: (ص ١١٢، رقم ١٣٨)، بإسناد صحيح، عن العوام بن حوشب، قال: «نزلت مرةً حيًّا وإلى جانب الحيِّ مقبرةٌ...» فذكره. وفي رواية ابن أبي الدنيا: عن العوام، عن عبد الله بن أبي الهذيل، من قوله. (*) ما مرَّ ذكره من خطبة (من أين نوتى)، من كتاب (مجموعه رسائل) - وكان الفراغ من تبويبها ليلة الاثنين ٨ من ذي القعدة ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٠ / ١٢ / ٢٠٠٤ م

فَإِنَّ الطَّاعَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْمَعْرُوفِ؛ كَمَا بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَالِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فِي سَرِيَّةٍ أَرْسَلَهُمْ؛ فَلَمَّا أَغْضَبُوهُ وَقَدْ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُطِيعُوهُ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا حَطْبًا، وَأَوْقَدَ نَارًا؛ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا؛ فَهَمَّ قَوْمٌ مِنْهُمْ بِدُخُولِهَا، وَامْتَنَعَ آخَرُونَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؛ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا تَبِعْنَا الرَّسُولَ ﷺ إِلَّا فِرَارًا مِنَ النَّارِ.

وَأَنْطَفَأَتِ النَّارُ، وَأَنْطَفَأَ غَضَبُهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

فَمَهْمَا أَمَرَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ مَا دَامَ لَا يُغْضِبُ اللَّهَ وَلَا فِيهِ عِصْيَانٌ لِرَسُولِهِ ﷺ فَطَاعَتْهُمَا وَاجِبَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُؤَخَّرَ؛ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ فِي صَلَاةِ النَّفْلِ وَنَادَاهُ أَبُوهُ أَوْ نَادَتْهُ أُمُّهُ وَكَانَا بِحَيْثُ لَا يُدْرِكَانِ الْعِلْمَ وَلَا يُقَدَّرَانِ الْأَمْرَ؛ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ وَيُجِيبُ النَّدَاءَ.

وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ أَثِمَ حِينَئِذٍ، وَلَمْ يُحْسِنْ، وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ كَمَا فِي أَمْرِ جُرَيْجِ الْعَابِدِ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي الْمَهْدِ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، قَدِ اعْتَزَلَ النَّاسَ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ صَوْمَعَةً يَعْْبُدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهَا.

(١) أخرجه البخاري: (٨ / ٥٨)، رقم (٤٣٤٠)، ومسلم: (٣ / ١٤٦٩ - ١٤٧٠)، رقم

(١٨٤٠)، من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْعَزْلَةُ عِنْدَ خَوْفِ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْفِتَنِ وَمِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ وَعِنْدَ فَسَادِ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ مَطْلُوبٌ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمَرْءِ غَنَمٌ؛ يَتَّبِعُ بِهَا شِعَافَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ؛ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(١)

أَمَّا إِذَا كَانَتْ مُخَالَطَتُهُ لِلنَّاسِ بِحَيْثُ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ عِلْمٍ يَشُكُّهُ أَوْ مَعْرُوفٍ يَأْمُرُ بِهِ أَوْ مُنْكَرٍ يَنْهَى عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْخُلْطَةَ حِينَئِذٍ تَقْدَمُ عَلَى الْعَزْلَةِ وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَعْتَرِلُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ.

اعْتَرَلَ جُرَيْجٌ النَّاسَ نَاحِيَةً، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ صَوْمَعَةً يَعْبُدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا. وَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِ تُنَادِيهِ تَقُولُ: يَا جُرَيْجُ!

وَكَانَ فِي صَلَاةٍ؛ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؛ فَلَمْ يُجِبْهَا.

فَمَضَتْ، ثُمَّ جَاءَتْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي؛ فَنَادَتْ: يَا جُرَيْجُ، وَكَانَ فِي صَلَاةٍ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلَمْ يَقْطَعْهَا يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؛ فَقَدَّمَ الصَّلَاةَ عَلَى نِدَاءِ أُمِّهِ.

وَمَضَتْ الْأُمُّ وَجَاءَتْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ؛ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! وَكَانَ فِي صَلَاةٍ؛ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؛ فَلَمْ يُجِبْهَا.

(١) أخرجه البخاري: (١/٦٩، رقم ١٩)، من حديث: أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فَغَضِبْتُ، وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَرَى وُجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ.

وَالْمُؤْمِسَاتُ الزَّوَانِي؛ فَدَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَابِدُ الْمُتَبَتِّلُ الزَّاهِدُ الْمُنْقَطِعُ بِأَنْ
يَكُونَ فِي قَاعِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ يَنْظُرُ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ.

فَدَعَتْ عَلَيْهِ بِأَنْ يَنْزَلَ مِنَ الْقِمَّةِ السَّامِقَةِ السَّامِيَةِ إِلَى حَضِيضِ الْوَهْدَةِ
الْمُتَرَدِّيةِ؛ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ.

وَلِلْأُمُومَةِ وَلِلْأُبُوبَةِ سُلْطَانٌ وَتَعْسِيفٌ وَجَبْرُوتٌ؛ فَلْيَحْذَرَهَا الْإِبْنُ حَذْرًا
شَدِيدًا؛ وَلْيَتَوَقَّهَا تَوْقِيًّا؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَأْمَنُ عِنْدَ الْغَضَبِ مَا يَكُونُ مِنْ حَالِهِمَا؛
كَمَا كَانَ مِنْ أَنْ جُرِيحًا إِذْ دَعَتْ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ وَمَضَتْ لِطَيْبَتِهَا، وَمَضَى هُوَ
فِي صَلَاتِهِ.

وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَغْيٌ يُتِمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِحُسْنِهَا، كَانَتْ
فَائِزَةً الْجَمَالِ بَارِعَتُهُ.

وَتَذَاكَرَ النَّاسُ حَالَ جُرِيحٍ يَوْمًا؛ فَقَالَتْ: لِأَقْتِنَنَّهُ، وَأَخَذَتْ عَلَى كَاهِلِهَا مِهْمَةً
الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَالْغَوَايَةِ، وَسَحْبِهِ إِلَى حِبَالَةِ الْفَاحِشَةِ وَالزُّنَا؛ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ؛
فَلَمْ يَأْبَهُ لَهَا.

تَعَرَّضَتْ لِجُرِيحٍ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا، وَكَأَنَّهَا لَا شَيْءَ، بَلِ انْمَحَقَتْ حَتَّى صَارَتْ
لَا شَيْءَ.

فَجَاءَتْ إِلَى رَاعٍ كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ؛ فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا؛ فَوَقَعَ عَلَيْهَا
فَأَحْبَلَهَا؛ فَلَمَّا وَضَعَتْ جَاءَتْ بِالرَّضِيعِ فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرِيحٍ!!

فَجَاءَ الْعَوَامُّ، وَلَقَبَهُمْ مُشْتَقًّا مِنَ الْعَمَى؛ فَجَاءُوا إِلَى صَوْمَعَتِهِ؛ فَاسْتَزَلُّوهُ؛
فَهَدَمُوهَا، ثُمَّ أَخَذُوهُ؛ فَجَعَلُوا الْحَبْلَ فِي عُنُقِهِ؛ جَعَلُوا الرَّسْنَ فِي رَقَبَتِهِ، ثُمَّ جَرُّوهُ بِهِ.
وَتَجَمَعَ النَّاسُ وَفِيهِمُ الْمُؤَمِّسَاتُ؛ فَلَمَّا نَظَرَ فِي وُجُوهِهِنَّ؛ تَبَسَّسَ ثُمَّ قَالَ: مَا
شَأْنُكُمْ؟

قَالُوا: وَقَعْتَ عَلَيَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَهَذَا وَلَدُكَ مِنْهَا!!

فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِي؛ فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنَ الصَّلَاةِ؛ قَالَ:
إِلَيَّ بِالصَّبِيِّ؛ فَضْرَبَ فِي بَطْنِهِ بِأَصْبَعِهِ؛ قَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟
قَالَ: أَبِي الرَّاعِي.

وَعِنْدَيْدٍ لَمَّا تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ فَصَارَ مُعْجِزَةً بَاهِرَةً وَآيَةً بَاهِرَةً أَقْبَلُوا عَلَيْهِ
يَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَيُقَبِّلُونَهُ، وَيَقُولُونَ: دَعْنَا فَلْنَعِدْ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ
مِنْ طِينٍ.

فَقَالَ: لَا؛ بَلِ اجْعَلُوهَا كَمَا كَانَتْ مِنْ طِينٍ.

وَقَدْ كَانَتْ.

فَقَالُوا: لِمَ تَبَسَّسْتَ؟

قَالَ: تَذَكَّرْتُ دَعْوَةَ أُمِّي (١).

(١) أخرجه البخاري: (٦ / ٤٧٦، رقم ٣٤٣٦)، ومسلم: (٤ / ١٩٧٦ - ١٩٧٨، رقم

٢٥٥٠)، من حديث: أبي هريرة (رضي الله عنه).

وَلَسْتَ جُرِيحًا؛ فَاحْذَرُ! لَسْتَ جُرِيحًا؛ وَقَدْ لَا تَجِدُ إِصْبَعًا تُطَاوِعُكَ عَلَيَّ
نَحْسِ بَطْنٍ مَنْ تَلْقَى عَلَيْكَ تَهْمَتُهُ؛ فَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي
الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَرَّ الْوَالِدَيْنِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ؛ كَمَا نَهَى عَنِ الْعُقُوقِ.
وَالْعُقُوقُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الشُّقُّ؛ فَكَأَنَّهُ يَفْطَعُ وَيُشَقِّقُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ؛ فَهَذَا
عُقُوقٌ؛ هَذَا يَبْدَأُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا أُفِيٍّ وَلَا
نَهْرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]

لَمْ يَأْمُرْ بِالْكَفِّ عَمَّا يَسُوءُ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالْكَفِّ عَمَّا يَسُوءُ، وَقَرَنَهُ بِالْأَمْرِ
بِالِإِتْيَانِ بِالْحُسْنَى ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ
وَالتَّبْجِيلِ ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

فَنَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الشُّرْكِ كَمَا نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْعُقُوقِ.
وَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ، وَأَمَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِعَقْبِهِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

وَمَا أَقَلَّ الْبِرَّةَ فِي الْعَالَمِ!!

وَمَا أَكْثَرَ الْعَقَقَةَ!!

فَالْعَالَمُ غَاصُّ مُمْتَلِئٌ بِكُلِّ عَاقٍ؛ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ.



حَقِيقَةُ الطَّاعَةِ لِلْوَالِدَيْنِ:

وَلَيْسَ الْبِرُّ لِلْأَبْوَيْنِ بِأَنْ تُطِيعَهُمَا فِيمَا تَهَوَّاهُ نَفْسُكَ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا أَمَرَهُ أَبُوهُ أَوْ أَمَرَتْهُ أُمُّهُ بِمَا تَهَوَّاهُ نَفْسُهُ؛ فَأَطَاعَ كَانَ بِرًّا.

حَاشَا وَكَوَلَا! إِنَّمَا يَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَيَأْخُذُ مَا يُلَائِمُهُ وَيُؤَافِقُ طَبْعَهُ، وَإِنَّمَا الْبِرُّ كُلُّ الْبِرِّ أَنْ تُطِيعَ فِيمَا تُبْغِضُهُ النَّفْسُ.

الْبِرُّ كُلُّ الْبِرِّ أَنْ تَكُونَ طَائِعًا فِيمَا تُبْغِضُهُ النَّفْسُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعْصِيَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْ مَعْصِيَةً لِلرَّسُولِ الْأَمِينِ ﷺ

إِنَّمَا تُؤْتَى مِنْ عَدَمِ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْوَالِدَيْنِ:

تَتَعَسَّرُ الْأُمُورُ وَتَتَعَقَّدُ الْحَيَاةُ، وَلَا يَدْرِي الْمَرْءُ مِنْ أَيْنَ! وَيُؤْتَى مِنْ هَذَا الْأَمْرِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، وَيَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَبْذُلُ بِالنَّدَى يَدَهُ مَبْسُوطَةً، وَيَتَوَرَّطُ فِي هَذِهِ الْجَرِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ مِنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ كَمَا بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟»

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ»، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ؛ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ يَسْكُتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (١).

الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ؛ بِعَقِبِ الإِشْرَاقِ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ جَعَلَ السَّبَبَ الظَّاهِرَ فِي وُجُودِ الأبوينِ؛ فَلَمْ تَرَ حَقَّهُمَا؛ فَانْتِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي لَمْ تَرَهُ تَكُونُ أَشَدَّ عُقُوقًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ غِيضٌ لَا تَرَاهُ الأَعْيُنُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الآخِرَةِ؛ يَرَاهُ النَّاسُ فِي الآخِرَةِ.

وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَهَذَا لَا يَكُونُ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكُنْتَ جَاحِدًا لِلْسَّبَبِ الظَّاهِرِ فِي وُجُودِكَ، وَهُمَا أَبَوَاكَ؛ فَإِنَّكَ تَكُونُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَشَدَّ جُحُودًا، وَلَنْ تَفِي أَبَا وَلَا أُمَّ حَقَّهُمَا عَلَيْكَ؛ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذَا الْحَقَّ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَوْكِدِ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَفْهَمُ كَيْفَ يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا تَقِيًّا نَقِيًّا وَهُوَ مُصْبِحٌ مُمَسِّ بِالْعُقُوقِ، كَيْفَ؟!

فِي اللَّعْنِ يَتَوَرَّطُ، يَتَوَرَّطُ فِي الطَّرْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ، كَيْفَ؟!

هَذَا لَيْسَ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ مِنْ حَقِيقَةِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَسْدَى إِلَيْهِ امْرُؤٌ مَعْرُوفًا؛ فَكَأَنَّمَا أَسْرَهُ هَذَا عِنْدَ الْأَحْرَارِ.

(١) أخرجه البخاري: (١٠ / ٤٠٥، رقم ٥٩٧٦)، ومسلم: (١ / ٩١، رقم ٨٧)، من

حديث: أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَا أَسْرَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ فَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

فَالْوَلَدُ الْعَاقُ وَلِدٌ لَيْئِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَزِدَادُ عَلَى الْإِكْرَامِ إِلَّا عِتْوًا.

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
وَمَا أَسْرَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ فَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا

فَهَذَا الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَسْتَقِيمُ مَعَ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَوَرَّطَ
فِي رَدِّهَا وَلَا أَنْ يَتَنَكَّبَهَا مُجَانِبًا إِيَّاهَا إِلَّا مَنْ كَانَ ذَا فِطْرَةٍ رَدِيَّةٍ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ (عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ) الْجُمُعَةِ ٧ مِنْ صَفَرِ ١٤٣١ هـ الْمُوَأَفِقِ

نَصَائِحُ مَهْمَةٌ لِلْأَبْنَاءِ:

وَهَذِهِ نَصَائِحُ لِلْأَبْنَاءِ إِذَا أَخَذُوا بِهَا اسْتَقَامَتْ حَيَاتُهُمْ وَكَانُوا عَلَى رَجَاءِ
الْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

أَطْعُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ فِي كُلِّ مَا بِهِ أَمْرًاكَ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً

خَاطِبُهُمَا بِلُطْفٍ وَأَدَبٍ وَأَنْهَضْ لَهُمَا إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ

حَافِظٌ عَلَى سُمْعَتِهِمَا وَشَرَفِهِمَا وَمَالِهِمَا وَعِرْضِهِمَا

أَكْرِمُهُمَا وَأَعْطِهِمَا كُلَّ مَا يَطْلُبَانِ

شَاوِرُهُمَا فِي أَعْمَالِكَ وَأُمُورِكَ

أَكْثِرْ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُمَا

إِذَا كَانَ عِنْدَهُمَا ضَيْفٌ فَاجْلِسْ قُرْبَ الْبَابِ وَرَاقِبْ نَظْرَاتِهِمَا لَعَلَّهُمَا يَأْمُرَانِ

بِشَيْءٍ خُفِيَةٍ

اعْمَلْ مَا يَسُرُّهُمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَكَ بِهِ

فَهَذَا إِنْ أَمَرَ بِهِ قَلَّ مِنْ شَأْنِ الْمَسْرَةِ

لَا تَرْفَعِ صَوْتَكَ عَالِيًّا أَمَامَهُمَا

وَلَا تُقَاطِعُهُمَا أَثْنَاءَ الْكَلَامِ

وَلَا تُجَادِلُهُمَا فِي أَمْرٍ وَإِذَا كُنْتَ عَلَىٰ يَقِينٍ مِمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ فَحَاوِلْ أَنْ تُقْنِعَهُمَا

بِالْحُسْنَىٰ فَإِنْ أَصْرَا عَلَىٰ رَأْيِهِمَا فَلَا تُعَانِدُهُمَا وَلَوْ كَانَا عَلَىٰ خَطَأٍ

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا

وَأَمَّا أُمُورُ الْآخِرَةِ فَبَيْنَ لَهُمَا الْحَقُّ بِرَفِيقٍ

لَا تَكْذِبْ عَلَىٰ أَبِيكَ

وَلَا تَأْخُذْ شَيْئًا لَمْ يَأْذُنَا بِأَخْذِهِ

لَا تُسَافِرْ إِذَا لَمْ يَأْذُنَا لَكَ

إِذَا كُنْتَ مُبْتَلَىٰ بِمَعْصِيَةٍ كَالْتَدَخِينِ مَثَلًا فَلَا تَفْعَلْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ أَمَامَهُمَا وَإِنْ

سَمَحَا لَكَ بِذَلِكَ

لَا تُزْعِجْ أَبِيكَ إِذَا كَانَا نَائِمَيْنِ

وَتَذَكَّرْ حَدِيثَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ حَبْسًا فِي الْغَارِ

وَإِنْ أَحَدَهُمَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعَمَلٍ صَالِحٍ يَخُصُّ بِرَّ أَبِيهِ وَأَنََّّهُمَا

كَانَا كَبِيرَيْنِ وَكَانَ يَأْتِي إِذَا رَاحَ مِنْ رَعِيهِ بِأَغْنَامِهِ فَيَحْلُبُ ثُمَّ يَأْتِي بِالْقَعْبِ يَجْعَلُهُ

عَلَى يَدِهِ وَيَقِفُ حَتَّى يَشْرَبَا فَتَأَخَّرَ مَرَّةً ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمَا قَدْ نَامَا فَظَلَّ قَائِمًا
عِنْدَهُمَا وَاللَّبَنُ عَلَى يَدِهِ وَالصَّبِيَّانُ يَتَضَاعَوْنَ جُوعًا حَتَّى اسْتَيْقَظَا

لَا تُزْعِجُهُمَا إِذَا كَانَا نَائِمِينَ

لَا تَفْضُلْ زَوْجَتَكَ وَلَا وَلَدَكَ عَلَيْهِمَا

وَلَا تُلْمُهُمَا إِذَا عَمِلَا عَمَلًا لَا يُعْجِبُكَ

وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِمَا بِفَضْلِ عَقْلِكَ فَرُبَّمَا آتَاكَ اللَّهُ عِلْمًا وَعَقْلًا وَكَانَا جَاهِلِينَ
فَرُبَّمَا تَكَلَّمَا فَأَضْحَكَا النَّاسَ بِكَلَامِهِمَا فَلَا تَبْتَسِسْ

وَلَا تُلْمُهُمَا إِذَا عَمِلَا عَمَلًا لَا يُعْجِبُكَ

وَلَا تَضْحَكُ بِحَضْرَتِهِمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ سَبَبٍ لِلضَّحِكِ

وَلَا تَتَنَاوَلْ طَعَامًا مِمَّا يَلِيهِمَا

وَلَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَهُمَا

وَلَا تَنَمْ وَلَا تَضْطَجِعْ وَهُمَا جَالِسَانِ

وَلَا تَجْلِسُ قَبْلَهُ

وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ

وَلَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ

وَلَا تَمُدَّ رِجْلَكَ أَمَامَهُمَا

وَلَا تَجْلِسْ فِي الْعُلُوِّ وَيَجْلِسَانَ فِي السُّفْلِ
 وَلَا تَمْشِ بِجَانِبِ أَبِيكَ فِي الطَّرِيقِ بَلْ تَأَخَّرْ عَنْهُ
 لَبَّ نِدَاءَهُمَا مُسْرِعًا إِذَا نَادَيْكَ
 لَا تُصَاحِبْ غَيْرَ رَجُلٍ بَارٍّ بِوَالِدَيْهِ وَإِيَّاكَ وَصَاحِبَ الْعُقُوقِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ (شَرْحِ كِتَابِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ) الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢
 بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

الفهرس

٣المُقَدِّمَةُ
٤حَدَدَ الشَّرْعِ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْبَشَرِ
٥حُقُوقُ ذَوِي الْأَرْحَامِ
١١فَضْلُ صِلَةِ الرَّحِمِ
١٩كَيْفَ نَصَلُ رَحِمَنَا؟
٢٢مَنْ هُوَ وَاصِلُ الرَّحِمِ
٢٤خَطُورَةُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ
٢٦عُقُوبَاتُ قَاطِعِ الرَّحِمِ
٣٢صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ
٣٨فَضْلُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ
٤٧الْبِرُّ بِالْأُمَّ
٥٥بِرُّ الْأَبِ

- ٦١ جَزَاءُ الْوَالِدَيْنِ
- ٦٥ عَاقِبَةُ الْعُقُوقِ
- ٧٤ حَقِيقَةُ الطَّاعَةِ لِلْوَالِدَيْنِ
- ٧٧ نَصَائِحُ مُهِمَّةٌ لِلْأَبْنَاءِ
- ٨١ الْفَهْرَسُ

